حبيبتي لن نفترق

إيمان العمري

إيمان العمري

حبيبتي لن نفترق

آفاق للنشر والتوزيع

إهـداء

إلى من كانت كلماته الساحرة تأسر كل القلوب

إلى والدي أحمد كامل العمري

إيمان العمري

(١)

عندما علم وليد الحسيني بالشخص الذي يطلب مقابلته ، وسبب المقابلة تملكته الدهشة ، وكاد أن يرفض المقابلة أو يحول الطالب إلى أحد موظفي الشركة ، لكن كانت هناك حالة غريبة من الفضول جعلته يوافق على المقابلة . كان وليد يسعى للتعرف على صاحبة فيلا جليم بالإسكندرية أو قصر جليم كما كان يحلو للبعض أن يطلقوا عليه .

هذا القصر أو الفيلا من وجهة نظر وليد ليس أكثر من عقار قديم تسعى الشركة التي يعمل فيها للحصول عليه بكل الوسائل ، ومنذ فترة ليست بالقصيرة ، وكم من المحاولات التي بذلت مع صاحبته ، لكنها كانت ترفض دائما بيع بيتها ، وبطبيعة الحال لم يكن وليد طرفًا في مثل هذه المساومات ، فهو أكبر من ذلك بكثير .. إنه نائب رئيس مجلس إدارة شركة الإنشاءات العملاقة التي نفذت العديد من المشروعات الضخمة، ومنها مشروع فندق عالمي ، وستقوم الشركة بإدارته ، ووليد بصفته مهندس في الأساس هو من وضع التصميم لهذا المشروع مستغلًا طبيعة المنطقة التي فيها العديد من القصور العتيقة ذات الطرز المعمارية الفريدة، فوضع تصميم الفندق على أساس تقسيمه إلى مبنيين: الأول يبنى على أحدث الطرز المعمارية ، والثاني عبارة عن قصر قديم يتم تجديده مع

الاحتفاظ بطابعه المعماري الخاص ، ويربط المبنيين حمامات السباحة ، وحديقة واسعة ، وقد استطاعت الشركة شراء الأرض اللازمة لبناء المبنى الحديث، وبقي الحصول على القصر القديم القريب من تلك الأرض...

وقد وقع الاختيار على القصر الذي تملكه عائلة الحناوي ، والذي لا يسكن فيه سوى شخص واحد ، وهو مرام الحناوي التي رفضت البيع بشدة رغم كم الإغراءات التي قدمتها الشركة لها .

كان وليد يعتبر عدم مقدرة المسئولين على شراء القصر،و إتمام الصفقة تقصيرًا من جانبهم ، وكم عنَّفهم على ذلك ، بل وصل الأمر إلى تهديده لهم بإنزال عقاب شديد عليهم ....

عندما طلبت مرام مقابلته كان لدى وليد رغبة غامضة في التعرف على تلك الشخصية ... كان وليد قد كوَّن صورة في خياله لتلك السيدة : امرأة عجوز تعيش على ذكريات الماضي، وكم سخر وليد من هذه السيدة التي تضحي بالملايين لتعيش بمفردها في بيت عتيق ، وكم سأل وليد نفسه وهو يمر بجوار القصر ، ويراه من الخارج

«أترى كم حجرة في هذا القصر تضطر تلك العجوز لغلقها ؟! فمن المؤكد أنها لا تستخدم كل حجرات هذا القصر»

وكم تعجب وليد من عقلية تلك العجوز ، وطريقة تفكيرها ... فكان طلبها بلقائه فرصة عظيمة عليه اغتنامها ليتعرف على هذا النموذج الغريب من البشر الذي كم اندهش وليد من وجوده في هذا العصر .

استعد وليد لمزيد من الدهشة عندما يقابل السيدة العجوز ، ويتحدث معها ، لكن دهشته فاقت كل التوقعات ، فعندما دلفت مرام إلى مكتبه،

ووقع نظر وليد عليها تملكته الدهشة ، ووجم للحظات ، ولم يستطع التحرك ، ثم مد يده ببطء شديد ، وسلم على مرام دون أن ينطق بكلمة ، وأخيرًا تحدث بصوت خافت ، وسألها

– حضرتك مدام مرام الحناوي صاحبة قصر جليم ؟!

– أيوه، أنا مرام الحناوي .

لم يستطع وليد أن يصدق ما يراه ، فخرجت الكلمات من فمه دون أن يدري

– إزاي ؟!

لم تفهم مرام قصده

– فيه مشكلة ؟!

– أبدًا ... أبدًا لكن ... المهم إتفضلي، طلباتك ؟

ارتبكت مرام بعض الشيء أمام نظرات وليد التي كانت تتفحصها ، فعلى عكس كل توقعاته وجد وليد أمامه امرأة شابة في بداية الثلاثينيات من عمرها تتمتع بدرجة عالية من الجمال، ملامح وجهها تجمع بين الرقة والكبرياء في كل شيء ، وعيناها فيهما سحر غامض ، وشراسة ، وقوة ، فيجبران من ينظر لهما على الرضوخ التام .

كان هذا هو حال وليد الذي وجهت له مرام نظرات ثاقبة ليوقف نظراته المتفحصة لها ، فأذعن لأمرها ، وأنصت لحديثها الحاسم .

– أستاذ وليد، أنا عارفة مكانتك في الشركة عشان كده توجهت لك ، وبدون مقدمات حضرتك عارف ردي على عرضكم بخصوص بيتي ، وده رد نهائي رغم كم الإغراءات ....

قاطعها وليد بتكبر ، وعجرفة

– أنا وقتي مليان بمليون حاجة يا مدام ، وبعدين دي حاجات تناقشيها مع المسئولين عنها ، لكن أنا ما عنديش وقت لحكايات الستات في النوادي عن التمسك بالبيوت القديمة .

شعرت مرام بالدماء تغلي في عروقها ، فاحتدت في كلامها ، وارتفعت نبرات صوتها .

– أنا مش جاية أحكي حكايات ستات .

قاطعها وليد بنظراته الحادة ، فانتبهت إلى أسلوبها الحاد ، فعادت لطريقتها في الحديث بجدية ، واتزان

– آسفة لكن فيه مشكلة ، وياريت نحلها بأسلوب متحضر بعيدًا عن أعمال البلطجة .

– البلطجة ؟! إنت في مكتب نائب رئيس مجلس إدارة شركة محترمة مش جاية لرئيس عصابة ...يا مدام لو سمحتي اختصري ولا ...

اندفعت الدماء في رأس مرام ، فقاطعت وليد بحجة

– أستاذ وليد أنا مش عايزة أكبر الموضوعات ، وبألجأ للأسلوب الودي، لكن من الواضح إن حضرتك عندك رأي تاني .

همت مرام بمغادرة المكان ... شعر وليد بالإحراج ، فحاول أن يهدئ الموقف

– من الواضح إن التكييف مش شغال كويس عشان كده أعصابنا متوترة، ممكن حضرتك تشرحي لي كل حاجة بهدوء لكن الأول تحبي تشربي إيه؟

طلب وليد الساعي ، وأمره بإحضار كوبين من عصير الليمون .... نظر وليد لمرام ، وتابع ما تقوله باهتمام شديد

– بعد ما رفضت بيع البيت بشكل نهائي، بدأ العمال اللي بيشتغلوا في الفندق يعملوا حاجات غريبة فيها تعدي على القصر لدرجة إنهم رموا بمخلفات المبنى في الجنينة يعني أعمال استفزازية مالهاش معنى .

في تلك الأثناء دلف الساعي ، ومعه كوبان من عصير الليمون ، فتوقفت مرام عن الكلام حتى خرج الساعي ... قدم وليد العصير لمرام

– تفضلي .

احتسى وليد ، ومرام العصير وهما صامتان ، ثم تحدث وليد:

– أحيانًا العمال بيتصرفوا من نفسهم، يعني يمكن فاكرين إن ده حايبسط الشركة لكنهم في الحقيقة بيسيئوا لنا .

– لكن....

وقف وليد معلنًا انتهاء المقابلة ، فشعرت مرام بالخجل ، والاضطراب، ووقفت لمغادرة المكان ...ابتسم وليد لها ، ومد يده ليصافحها ، وهو يؤكد لها أنه سيحل المشكلة

– ثقي يا مدام إننا شركة محترمة تسعى للتعمير مش عصابة بلطجية .

تركته مرام ، وهي تشعر بالحنق من أسلوبه المتعجرف ، وعلى يقين من أن الشركة ستستمر في أعمال البلطجة لإرغامها على البيع ، لكنها ما كانت لتستسلم بسهولة ، فبدأت في وضع العديد من الخطط لمواجهة أي سيناريو محتمل .

كانت مرام تشاهد الحقول من نافذة القطار المتجه بها إلى الإسكندرية،

وصور معاركها القادمة تتابع أمامها ، وكأنها شريط سينمائي لأحد الأفلام الهابطة ... شعرت مرام بقلبها ينقبض أمام تتابع الصور في مخيلتها ، لكن تملكها الحماس ، ووجدتها فرصة لخوض مغامرة من نوع خاص ، وعاد بها الزمان سنوات للوراء عندما كانت طفلة تختار في كل ليلة من تريده من أفراد أسرتها ليحكي لها « حدوتة» قبل النوم ، وفي صباح اليوم التالي تخوض المغامرة التي دارت حولها قصة الليلة السابقة... فمرة هي لص بغداد ، ومرة أخرى هي القرصان الجبار الذي يهدد البحار ، وسرعان ما تتحول في اليوم التالي لتصبح سندريلا أو الأميرة الحسناء ... آه! كم كانت أيامًا جميلة سعدت فيها مرام أي سعادة وسط عائلتها الكبيرة ، لكن لم يبق لها سوى الذكريات !!

ما أن وصل القطار إلى الإسكندرية حتى أسرعت مرام إلى منزلها لتأخذ ما يكفيها من زاد من الذكريات الجميلة ، فأسرعت إلى حجرة المكتب ، وبحثت عن ألبومات صور العائلة ، وأخذت تقلب صفحاتها ، وهي تتذكر مناسبة كل صورة سواء كانت حضرت هذه المناسبة أو حكي لها الأهل عنها .

ها هو جدها الحناوي الكبير يوم زواج ولديه محمد ، ومحمود ، وهما في ذات الوقت جدي مرام ، فأحمد بن محمد تزوج من سعاد ابنة محمود وقد عاشت الأسرة الكبيرة في سعادة ، وازداد الترابط بين أفرادها بقدوم الصغيرة مرام آخر سلالة الحناوي لتصبح أميرة القصر بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ ، فالكل كان يدللها ، والصور لا تكذب ... مئات الصور التي تحكي قصص التدليل للأميرة الصغيرة .

أخذت مرام جرعة كافية من الحماس ، والتصميم على مواصلة طريقها في التمسك ببيتها العتيق ، وظلت طوال الليل تفكر فيما ستفعله في اليوم التالي حتى غلبها النعاس ، وغرقت في سبات عميق .

استيقظت مرام على صوت جرس الباب ، فظنت أن الطارق هو عم سعد البستاني ، ففتحت له الباب ، وهي مازالت مغمضة العينين ، وأعطت له الأوامر الروتينية المعتادة .

– النهاردة فيه شغل كتير ، أصل أصحاب الفندق ربنا يهدهم ...

توقفت الكلمات في حلق مرام عندما فتحت عينيها ، ورأت من يقف على بابها ... لقد كان وليد الحسيني الذي ابتسم لها ، وهو يراها بترنج النوم ، والنعاس مازال مسيطرًا عليها ... وجمت مرام عندما رأت وليد، وتجمدت في مكانها ، وكأن الزمن قد توقف ... دعا منظرها وليد إلى إطلاق ضحكة خفيفة ، وهو يعيد جملتها

– أصحاب الفندق ربنا يهدهم ... ليه بس يا مدام، ما الطيب أحسن .

اضطربت مرام اضطرابًا شديدًا ، وتلعثمت ، ولم تدر ماذا تفعل

– أستاذ وليد آسفة ... لكن ...

حاول وليد تهدئتها

– صباح الخير يا مدام أنا إللي آسف، لكن أنا وعدتك إني أبحث المشكلة ، وللأسف إنت ما سبتيش لا نمرة التليفون ، ولا وسيلة الاتصال بك .

حاولت مرام أن تخفي اضطرابها ، وخجلها من منظرها ، ولم تعرف ماذا تفعل ... قدم وليد لها حلًا ، وهو يشير لها بأن تسمح له بالدخول إلى

القصر .

- ممكن ؟

ردت عليه مرام باضطراب شديد ، وأدخلته ثم استأذنت لتبدل ملابسها.... وجد وليد نفسه في بهو القصر الفسيح ، والأثاث الكلاسيكي يملأ المكان ، وصور العائلة المعلقة على الحائط تشي بالسعادة التي كانت تحيط بالعائلة ، ومدى الارتباط بين أفرادها .

أخذ وليد يتفحص المكان حتى وقع نظره على البيانو الموجود في أحد أركان البهو فاتجه نحوه ، وظهرت أمامه صورة امرأة في أوائل الأربعينيات من عمرها تجلس على البيانو تعزف إحدى المقطوعات الجميلة ، وهي تنظر لطفلها ، وتبتسم له ، وتعلمه مبادئ العزف

علت سحابة من الشجن وجه وليد ، وهو يمرر أصابع يديه على أصابع البيانو ... انتبه وليد على وصول مرام ، وهي تقدم له كوبًا من العصير أخذه منها ، فحاول أن يخرج من حالة الشجن التي تملكته .

-شكرًا .

فاجأ وليد مرام بسؤاله

- إنت بتعرفي تعزفي على البيانو ؟

- بسيط ... ماما هي إللي كانت بتعزف عليه .

عاد وليد لشروده برهة ، ثم انتبه على صوت مرام ، وهي تدعوه للجلوس ... استجاب وليد لمرام ، واتجه للجلوس على المقعد الكبير الذي يتوسط البهو ... ظهرت أمامه صورة طفل في العاشرة يجلس على مقعد مشابه ، وجدته تدلل إياه ، وتدعوه بالأمير الصغير ، وتحكي له إحدى

الحكايات... تعجبت مرام من صمت وليد ، وشروده الدائم .

– أستاذ وليد، حضرتك اتأكدت من صدق كلامي ؟

أفاق وليد من شروده ، وكأنه عاد من رحلة طويلة عبر الزمان ... تعجب من وجود مرام بجواره ، ولكنه سرعان ما عاد لحالته الطبيعية .

– مدام مرام إحنا آسفين فعلًا العمال قاموا بأعمال استفزازية ، وأنا تأكدت من الموضوع بنفسي ، وطبعًا أمرت بوقف المهزلة دي .

تهلل وجه مرام من الفرح

– شكرًا ... أنا مش عارفة أشكرك إزاي .

شرد وليد برهة ،فظنت مرام أنه سيحدثها في أمر بيع البيت لكن وليد فاجأها بحديثه ، وأسئلته عن البيت .

– التكييف عندك شغال كويس قوي .

ردت عليه مرام بتعجب

– أنا ما عنديش تكييف وبعدين إحنا في الإسكندرية يعني الجو مش محتاج تكييف .

ابتسم وليد لها ، فسألته مرام :

– تحب أفتح الشباك ؟

– ليه ؟! الجو دافئ وجميل، كل حاجة في البيت جميلة .

نظرت له مرام بتعجب ، فأدرك وليد أنه تجاوز في حديثه ، فارتبك قليلًا ... كان وليد قد انتهى من شرب العصير .

– شكرًا على العصير... ممكن ميه .

كان وليد يحاول أن يطيل بقاءه في بيت مرام أقصى فترة ممكنة ، فانتهز فرصة مغادرة مرام البهو لإحضار الماء ليتفحص البيت مرة أخرى... ما فيه من تحف ... نجف ... سجاد ... أثاث ... حوائطه ، وألوانها ، وتداخلت أمامه صور لبيت عتيق آخر يتشابه مع بيت مرام في بعض التفاصيل أحضرت مرام كوب الماء ، فأخذه وليد منها بتكاسل ، وأخذ يرشف الماء ببطء شديد ثم أشار إلى تمثال موضوع على المنضدة

– التمثال ده له تمثال توأم .

ردت عليه مرام مبتسمة

– وأنا صغيرة كسرته ، وعشان ما أزعلش كل العيلة عملوا إنهم فرحوا قوي من إللي حصل...وإن شكل تمثال واحد أظرف كتير .

نظر لها وليد متأملًا إياها ، وكأنها إحدى مقتنيات القصر

– واضح إنك كنت مدلعة قوي .

– يعني مش قوي .

صمتت مرام برهة ثم استأنفت حديثها

– المهم بعد ما حضرتك اتأكدت من صدق كلامي ممكن أطلب حاجة بسيطة .

– أوامرك .

– العفو ... لكن أنا نفسي توقفوا محاولاتكم عشان أبيع البيت ... فعلًا ما ينفعش أبيع البيت حتى لو عرضتم كل كنوز الدنيا .

رد عليها وليد بسخرية

- أعتقد إن الشركة ما تملكش كنوز الدنيا عشان تعرضها على حضرتك، وبعدين يا مدام إحنا بنعرض عليكي ملايين يعني قبلتي خير للجميع.... رفضتي ممكن ببساطة نشتري قصر غيره أو حتى نبني واحد يشبهه ... الموضوع بسيط ومش محتاج لا شعارات ولا مزايدات .

شعرت مرام برنة سخرية في نبرات صوته ، فامتلأت بالغضب الذي ظهر على ملامح وجهها ، وحدثته بحزم ، وقوة

- طب ليه بتعملوا كل الحاجات الاستفزازية ، وبقلكم كام شهر بتحاصروني بطلبكم الغريب ده ... هو فيه حد يقول لواحد اخرج من بيتك أنا عايزه .

ابتسم وليد لها ، وهو يهز رأسه مؤكدًا على كلامها ، ووقف ليغادر المنزل ... أوصلته مرام إلى الباب ، فانتبه وليد إلى أن مرام تركت الباب مفتوحًا .. هنا أدرك وليد أنها بمفردها في المنزل ، فظل يسأل نفسه عن أولادها ، وزوجها أين هم ؟

«ممكن ألا يكون لديها أولاد ، فهي مازالت صغيرة أو ربما كان أولادها في المدرسة ، فالدراسة قد بدأت منذ فترة ... لكن أين زوجها ؟! يا له من رجل !! يكفي أنه ترك زوجته لتواجه مجموعة من البلطجية ... ماذا لو كنت أنا من حرض العمال ضدها ؟! ألم يكن من الممكن أن ... أن ... ماذا كان من الممكن أن أفعل معها ؟»

علت الابتسامة وجه وليد ، وهو يتذكر وجه مرام ، وهي تفتح له الباب، والنعاس مسيطر عليها

« آه يا لها من طفلة جميلة لم تأخذ حظها الكافي من النوم !»

انقبض صدر وليد فجأة ، وأحس أنه يسير في طريق لا يجب أن تطأه قدماه ، فكيف له أن يفكر في امرأة متزوجة بمثل هذه الطريقة ، لكن أتوجد امرأة شابة يمكن أن تتمتع ببراءة الأطفال ... يا له من أحمق !... استقل وليد سيارته واتجه إلى مقر الشركة بالإسكندرية ، وهو يردد في نفسه

« النساء كلهن سواء يرتدين قناع البراءة ، وهن لا يسعين لشيء سوى التحكم ، والسيطرة لتسير الأمور وفقًا لما يردن ، وهن لا يردن إلا المال.»

وقتها رن في أذنه صوت قبيح لثلاث نساء

« –البيت ده قيمته كبيرة جدًا وطبعًا مش ممكن نسيبه عشان عيل عايز يعيش فيه .

– ثريا يا حبيبتي العيل ده عنده بيت ، وأب، يعني هو مش محتاج لبيت جدته ، ولا إيه يا صفاء

– طبعًا وليد ده ابني ، والمفروض إنه يعيش معانا لكن جدته هي إللي أصرت على إنه يعيش معاها عشان بيفكرها بوالدته لكن طبعًا لازم البيت يتباع ده حقكم .

ضاق صدر وليد من الغضب المكتوم عندما تذكر هذا الحوار الذي مر عليه أكثر من خمسة وعشرين عامًا ... كان ذلك يوم وفاة جدته ، وزوجة خاله ، وخالته ، ومعهما زوجة والده كن يبحثن أمر بيع بيت جدته ... اشتد الغضب بوليد وشعر بأوصاله ترتجف ، ودموع الحزن على جدته تصرخ في صدره ، فأوقف السيارة ، ومال على عجلة القيادة ، وأغمض عينيه في محاولة لطرد تلك الأصوات من ذاكرته ، لكن كيف يطردها ، وقد حفرت في قلبه منذ سنوات طوال

«خالتي سايرت زوجة خالي ، وزوجة والدي في بحث أمر بيع بيت والدتها بدلاً من البكاء عليها ، فكيف لي أن أصدق أن مرام تضحي بكل الملايين المعروضة عليها من أجل ... من أجل ماذا ؟! يا لحماقتي!»

تمالك وليد نفسه ، فاستأنف قيادة السيارة ، واتجه إلى مقر الشركة ، وكان أول ما فعله أن استدعى المسئولين عن صفقة شراء قصر مرام لمعرفة كل التفاصيل الخاصة بهذا الأمر ، ولماذا أخفقوا فيه؟

(٢)

عقد وليد اجتماعًا طارئًا مع المسئولين عن صفقة شراء القصر ... كان الغضب يملؤه مما أثار دهشة الحاضرين ، وتساؤلاتهم حتى وليد نفسه لم يعرف السبب لكل هذا الغضب الذي تملكه .

بادر وليد الجميع بالهجوم لفشلهم في إتمام الصفقة ، وعدم التعامل بجدية مع الموضوع بداية من جمع المعلومات عن أصحاب البيت مرورًا بطريقة التعامل معهم ، والنتيجة المعروفة لكل هذا الاستهتار هي الفشل بكل تأكيد .

لم يستطع أحد معارضة وليد أو مناقشته في أي شيء ، فقد كان أشبه ببركان ثائر يدمر كل ما يجده أمامه ، وفي النهاية قرر أن يترك الجميع ملف هذا الموضوع ، فهو الذي سيتولى بنفسه هذه المهمة، كما أنه سيتابع بنفسه كل الأعمال الخاصة بتجهيزات الفندق ، وأجرى بعد ذلك العديد من الاتصالات لإبلاغ المسئولين بالفرع الرئيسي للشركة بالقاهرة بما قرره ، ثم أمر بتجهيز حجرة بالفندق ليقيم فيها .... ورغم أن حجرات الفندق لم يكن قد تم تجهيزها بعد، إلا أنه لم يهتم بكل ذلك ، وصاح بحدة

– أنا رايح أشوف مهزلة الفندق إللي بناه انتهى من فترة ولسه بنشتغل في تجهيزاته النهائية يعني إيه المرحلة الأولى من الفندق حانفتتحها في

الشتا الجاي ...إحنا لازم ننتهي من كل حاجة قبل شم النسيم ، و بعدين المرحلة التانية إللي مش باين لها ملامح حانبتدي فيها إمتى ؟

لم يناقش أحد وليد ، ونفذوا أوامره ، ولكن ظلت التساؤلات تحاصر كل العاملين في الشركة حول التغيرات التي طرأت على وليد ، وكيف تحول إلى شخصية عصبية إلى هذا الحد ... حقًّا لقد كان وليد مشهورًا بحزمه ، وإنه لا يقبل أي تقصير في العمل ، ولا يعترف بالفشل ، لكن هذا لا يعني أن يتحول إلى شخصية عصبية إلى هذا الحد .

رأى وليد هذه التساؤلات في عيون كل المحيطين به ، وأحسَّ بأنه كان متزايدًا في حدته وعصبيته، فأخذ يصب كل غضبه على الحيات الثلاثة ، وما يسببه له أي ذكرى لهن .

« آه ..آه يا وليد، متى تتخلص من كل ذكرياتك الأليمة التي كان وراءها الحيات الثلاثة؟ ... لا ..لا المشكلة ليس في هن ... المشكلة في مرام أجل مرام هي التي فتحت بلا رحمة كل جراح الماضي ، وأنا على ثقة من أنها لا تختلف كثيرًا عنهن رغم كل الشعارات التي ترفعها ... آه يا مرام سنرى إلى أي حد ستصل مزايداتك حول البيت آه لن تبيعي البيت بكل كنوز الدنيا كلها .... ها ... ها ....ها .»

ظل وليد يدرس ملف بيع القصر طوال الليل ... أهميته ... مساحته ... موقعه ، ومن يملكه في الوقت الحالي، لاحظ وليد أن مرام انتقلت لها ملكية القصر عن طريق البيع ، وليس الميراث ، فجداها باعا القصر لصغيرتهم .

« آه يا لها من أميرة مدللة تكسر التمثال ليصبح آخر صيحات الديكور... والقصر الآن مملوك لها ، فكيف سأتعامل معها ؟!»

نحى وليد ملف القصر جانبًا واتجه إلى نافذة حجرته ليتابع منظر شروق الشمس ، والسماء تملؤها الألوان المختلفة التي تنعكس على البحر ، فتلألأت مياهه لترسم الطبيعة لوحة رائعة الجمال ... شرد وليد ، وسبح بخياله بعيدًا في رحلة مع الزمان ليرى امرأة جميلة تتمتع بالشباب ، والحيوية تلهو مع طفلها الصغير على شاطئ البحر ، وتروي له الحكايات المختلفة عن البحر ، وأسراره ...

بدأت الدموع تغزو مقلتيه ، فأطرق رأسه ، لكنه لاحظ شيئًا أدهشه ، فقد كانت هناك امرأة شابة تقف على الشاطئ إنه يعرفها جيدًا ... إنها مرام.

لم يدر وليد كيف وجد نفسه أمام مرام التي كانت تبحث عن شيء سقط منها ... انتبهت مرام لوجود وليد الذي أدهشها رؤيته ، فرفعت رأسها ، وكفت عن البحث عما سقط منها ، وألقت تحية الصباح عليه ،رد وليد التحية ، وسألها

– فيه حاجة ضاعت منك ؟

ردت عليه مرام بضيق

– ربع جنيه .

اندهش وليد مما تقوله ، فها هي التي تدعي رفض الملايين تسود الدنيا في وجهها لأنها أضاعت ربع جنيه .

– العفو، إنت مضايقة بالشكل ده عشان ربع جنيه ؟!

تنفست مرام بقوة

– ده ربع جنيه الأماني ... آه، إنت مش حاتفهمني .. آسفة لكن ...

تملكت الحيرة من وليد ، واكتسى وجهه بالدهشة

– مدام مرام فيه حاجة ... يعني ممكن أساعدك .

انطلقت مرام في الحديث

– معاك ربع جنيه .

فتش وليد في جيبه ثم قدم لها ورقة فئة عشرة جنيهات ، فنظرت له مرام بخيبة أمل

– لا ، أنا عايزة ربع جنيه معدن عشان أرميه .

– نعم .

– آه ... إنت مش ... أستاذ وليد الموضوع ببساطة عشان ما تحترش أكتر من كده، أنا كل يوم مع الشروق باروح الشط ، وأرمي ربع جنيه في البحر ، وأتمنى أمنية ... هي دايما أمنية بسيطة يعني حاجة أتمنى إنها تحصل في يومي أصل دايما بأحلم يوم بيوم ....لكن النهاردة الربع جنيه وقع مني في الرمل ، ومش عارفة أرمي إيه في البحر .

ابتسم وليد

– لكن أنا بأعرف إن الأماني بتكون مع الغروب .

– لا، دي الأماني البعيدة لكن أنا خبيثة بأحلم يوم بيوم ، وبحاجات أنا عارفة أن تحققها سهل .

– يعني أماني النهاردة مش حاتتحقق ...

زفرت مرام زفرة يأس

– طبعًا إنت فاكرني واحدة مجنونة ، لكن أنا دايمًا أبدأ يومي كده .

أطلق وليد ضحكة خفيفة

- أبدًا إنت بس واحدة مدلعة من الجميع ، وحتى البحر بيدلعك ... لكن للأسف أنا ما عنديش ربع جنيه معدن .

تركها وليد ، وهو يودعها ضاحكًا ... شعرت مرام بالغضب من سخرية وليد منها ، لكن نحت غضبها جانبًا لتفكر في أمر مهم كانت تؤجل اتخاذ قرارًا فيه بحجة عدم فتح أكثر من جبهة في نفس الوقت ، لكن مادمت قد انتهت من أمر القصر ، فلتواجه الأمر الآخر .

كان الموضوع خاص بعمل مرام ، فهي تعمل في إحدى الجهات الحكومية ، وكثيرًا ما فكرت في ترك عملها الحكومي ،وإقامة مشروع خاص بها ، لكن حالت الظروف العائلية دون تحقيق هذا الحلم ، فخلال الخمس سنوات الماضية خيم شبح المرض على العائلة التي تساقط أفرادها واحدًا تلو الآخر ... كانت البداية مع إصابة والدتها بمرض خبيث قضى عليها في زمن قياسي ليعم الحزن المكان ، ويحصد الجميع .

اغرورقت عينا مرام بالدموع ، وهي تتذكر كيف مرت عليها السنوات الماضية ، لكنها مع نهاية حالة الحداد أعادت التفكير في كل حياتها ، وكان عملها هو النقطة الأساسية حقًّا هي تعمل في مكان محترم ، وتتلقى راتبًا لا بأس به، لكن طموحها كان غير ذلك ، فهي خريجة كلية الفنون التطبيقية، وكانت تسعى للعمل مهندسة ديكور ويكون لها مكتب خاص بها ، وبالفعل تدربت على هذا العمل منذ التحاقها بالجامعة ، وحققت نجاحًا كبيرا فيه لكن الظروف العائلية حالت دون تفرغها في العمل الخاص ، وكان عليها أن تتركه ، وتلتحق بالعمل في إحدى الجهات الحكومية ، لكن الظروف اختلفت ، فلا توجد لديها حاليًا أي مسئوليات عائلية ، وكم ضحكت مرام

بسخرية عندما تفكر في هذا الأمر

«أنا في الأساس ليس لديَّ عائلة ، فلماذا لا أكرس كل وقتي للعمل؟! وإذا لم أفعل ذلك الآن ، فمتى سأفعله ؟!»

أخذت مرام تتأمل البحر ، وهي مستغرقة في التفكير ... لم تدر مرام كم مر من الوقت ، لكنها في النهاية كانت قد حسمت أمرها ، واتجهت لمقر عملها لتقدم استقالتها ... شعرت وقتها أنها أزاحت عن كاهلها عبئًا ثقيلًا ، والآن عليها الانطلاق ، والتفكير في عملها الجديد ... في حياتها الجديدة التي تخطو فيها أولى الخطوات .

انطلقت مرام في الشوارع تسير بخطوات مسرعة ...لا، لقد كانت تطير... كانت أشبه بالطيور المحلقة في السماء ... جلست في إحدى المقاهي المطلة على البحر ، وأخرجت من حقيبتها ورقة ، وقلمًا ، وبدأت في وضع الخطوات التي عليها القيام بها للبدء في مشروعها الجديد ، والاتصالات التي يجب أن تقوم بها .

كانت السعادة تملؤها ، وتشعر بالفخر من شجاعتها ، وإصرارها على أن تبدأ طريقًا آخر للحياة تحقق فيه كل ما تتمناه دون أي قيود ... كم شجعها أفراد أسرتها على أن تختار ما تريده ، ولم يضعوا في طريقها أي عقبات ، لكن ما كانت لتتخلى عن واجباتها العائلية، أما الآن فلا بأس لتفعل ما تحبه طالما هي وحدها التي ستتحمل النتيجة .... كل ما كان يقلقها أنها لم تقذف بعملة الأماني في الصباح كعادتها كل يوم .

«لا بأس، لأنتظر الغروب، فهو موعد الآمال العريضة ، وبالفعل هذا ما أحتاج إليه لأنني سأبدأ طريقًا جديدًا في الحياة .»

ظلت مرام تجوب الشوارع حتى اقترب موعد الغروب ، فأسرعت إلى الشاطئ ... كانت تقبض بيدها على عملة معدنية قربتها من شفتيها لتهمس لها بكل ما تتمناه في حياتها الجديدة ، وبكل الحب ، والحماس قذفت بالعملة بعيدًا في البحر .

و كأنه هبط عليها من السماء أو انشقت الأرض ليظهر وليد أمامها ، فاجأها ظهوره على الشاطئ في مثل هذا الوقت ، وكأنهما على موعد ، فحاولت ألا تظهر أي اهتمام به ، واكتفت بأن ردت عليه التحية عن بعد ، واتجهت لمغادرة المكان ، فقصتها معه ، ومع شركته قد انتهت ، ولديها الآن مهام أخرى عليها إنجازها .

توقفت مرام على صوت وليد ينادي عليها ، فالتفتت له لتجده يقترب منها

– فيه حاجات كتير بخصوص القصر اكتشفتها ولازم نناقشها، تحبي نتقابل فين ، ولا تشرفينا في مقر الشركة إللي هنا في إسكندرية .

بدأ خيط من الغضب يتسلل إلى قلب مرام ، وظهر ذلك جليًّا في نبرات صوتها

– حاجات إيه ، وإنتم مالكم ، ومال بيتي وبعدين أنا مش فاهمة، إحنا مش انتهينا من موضوع البيت إمبارح إيه إللي جد .

نظر لها وليد بعينين ثاقبتين ، فصمتت

–مدام مرام أنا بكلمك بهدوء عشان فيه مشكلة ، وعايزين نحلها بهدوء.

حاولت مرام اصطناع الهدوء

- مشكلة إيه ؟!

- أبدا سور القصر داخل ضمن المساحة إللي اشتريناها ومش هو لوحده كمان فيه جزء من جنينتك داخل معانا ... واضح إن أوراق المساحة في الفترة إللي اتبنى فيها القصر ماكنتش دقيقة .

بدأت الدماء تغلي في عروق مرام ، وأدركت أن أساليب الضغط لن تنتهي ، فازدادت حدتها ، وارتفعت نبرات صوتها

-أف هو موضوع البيت ده مالوش نهاية شوف حضرتك إللي إنتم عايزين تعملوه اعملوه، لكن أنا مش حا أتخلى عن شبر واحد من بيتي ، ودي حاجات ثابتة من أكتر من ستين سنة مفهوم ، ولا تحب أوضح لك .

نظر لها وليد بحدة

- مدام مرام ممكن ...

قاطعته مرام بضجر

- أستاذ وليد، موضوع البيت بالنسبة لي منتهي ، ولو سمحت أنا عندي أعمال كتيرة ، ومش فاضية لمهاترات مش حا تجيب أي نتيجة .

اتجهت مرام لمغادرة المكان ، لكن وليد حدثها بحزم

- لو زاد المبلغ المعروض عليكي ٢ مليون جنيه توافقي على البيع ؟

نظرت له مرام بحدة ، وأسرعت بمغادرة المكان ، ووليد مازال مستمرًا في مزايداته ليزيد المبلغ المعروض لشراء البيت بـ ٥ ملايين جنيه، لكن مرام لم تلتفت إليه وواصلت طريقها للبيت ، والغضب يتملكها فقد تأكدت كل التأكد أن زيارة وليد لها بالأمس لم تكن سوى مناورة ، وأنه مازال عاقدًا العزم على ممارسة كل أساليب الضغط عليها ... وها هو

أسلوب الترغيب قد فشل ، فليس أمامه الآن سوى أسلوب الترهيب .

اتجهت مرام مباشرة إلى غرفة المكتب لتعيد قراءة كل الأوراق الخاصة بالبيت ، وأجرت العديد من الاتصالات تستشير الأصدقاء ، والمعارف الذين لديهم معرفة بالقانون لتحدد الأساليب القانونية التي عليها اتباعها لمواجهة ما يحاك ضدها من مؤامرات ، لكن كان هناك تخوف دائم من استخدام وسائل « البلطجة» خاصة أنها تعيش بمفردها ، وهذا يعد فرصة سانحة لاستخدام تلك الوسائل للضغط عليها ، لكن مرام لم تدع الخوف يتملك منها بل إنها طردت كل مخاوفها ، واستعادت ما سبق أن رسمته من خطط لمواجهة هؤلاء «البلطجية» اللذين يرتدون ملابس رجال الأعمال

« يا لحماقتي! كيف أصدق شخصًا مثل وليد يأتي في الصباح الباكر ليعتذر عما قام به عمال شركته؟!.. يا لها من مزحة سخيفة! والأكثر سخفًا أنني صدقته ، وظننت أن موضوع البيت قد انغلق نهائيًا ... والآن ماذا سأفعل ؟! كان من المفترض أن أتفرغ هذه الأيام للبدء في مشروعي الجديد لكن ما باليد حيلة ، فعليَّ أن أواجه تلك السخافات ... يا ربي ما عسي أن أفعل ؟! ... أف اللعنة عليك يا وليد كم أكرهك ، وأكره غبائي لانخداعي في مظهرك ، فمن يراك يظن أنه أمام إنسان محترم ، وليس رئيس عصابة من « البلطجية» آه هناك ربع متر في الحديقة من حق الفندق يا سلام لينزل الله كل أشكال عقابه عليك يا وليد أنت ومن معك في هذه الشركة الملعونة».

ظلت مرام طوال الليل تصب كل غضبها على وليد ، وتطلق اللعنات عليه ... أما وليد ، فبعد أن تركته مرام على شاطئ البحر ذهب إلى مقر

الشركة ، وعقد اجتماعًا مع محسن عمار رئيس المجموعة التي كانت مكلفة بعقد صفقة شراء قصر مرام ليسأله عن معلومات خاصة بمرام نفسها ، وكيف عرضوا الصفقة عليها

- إنتم ليه ما تعاملتوش مع جوزها، ده كان أسهل ؟!

اندهش محسن من سؤال وليد، ورد عليه بتعجب

مرام مش متجوزة .

نظر له وليد بسخرية

- واضح إنكم مش عارفين إنتم كنتم بتتعاملوا مع مين، عموما مهمتكم انتهت ، وأنا عارف إزاي حا أتعامل معها .

-لكن مروان بيه هو إللي كلفنا بإتمام الصفقة ، وهو إللي بيتابع كل خطوة فيها .

نظر له وليد بحدة

-اتفضل يا أستاذ محسن روح على مكتبك ، وبعدين يا ريت تبطلوا شغل البلطجة ده إحنا شركة محترمة .

ملأ الغيظ صدر محسن ، فما أن دلف إلى حجرة مكتبه حتى اتصل بمروان ابن صاحب الشركة ليخبره بكل ما حدث ... كان مروان يسعى بكل الطرق للسيطرة على الشركة، وكان والده فهمي السعيد يبارك خطوات ابنه التي كان أغلبها يتميز بالاندفاع ... كان وليد لا يرضى عن أساليب مروان التي كثيرًا ما تسببت في مشاكل للشركة ، وفي كل مرة كان يبذل وليد قصارى جهده لمعالجة ما سببه مروان ، ودائما ما يؤدى ذلك إلى زيادة ثقة مجلس الإدارة في وليد مما يوغر صدر مروان ضد وليد ،

وكراهيته له .

كانت صفقة شراء قصر مرام هي النقطة الفاصلة ، فمروان يسعى بكل السبل لإتمام الصفقة حتى يكسب ثقة مجلس الإدارة ، ويتمكن والده من تصعيده في الشركة ليضمن له المركز الذي يريده ... استغل مروان فرصة أن مركز وليد كان أكبر من عقد مثل هذه الصفقات ، لكن ها هو وليد يضيع عليه هذه الفرصة ، ويتولى هو مهمة شراء القصر .

لم يكن فهمي السعيد ، ولا باقي أعضاء مجلس الإدارة راضين عن تولي وليد مسئولية هذه الصفقة، فحقا وليد مهندس عبقري ، وله إنجازات عظيمة ، لكن هذه الصفقة لها أهميتها الكبرى بالنسبة للشركة التي تعرضت لهزات عنيفة نتيجة للعديد من التغيرات السياسية ، والاقتصادية التي مرت بها البلاد ، فكان الانحياز لمروان ، وأساليبه ، وليس لوليد وطرقه، لكن لم يستطع أحد أن يجهر بمثل هذا الرأي .

تولى وليد ملف صفقة القصر ، وبدأ في العمل الفوري ... أخذ وليد الملف معه إلى حجرته في الفندق ، وظل يتفحصه طوال الليل ... يرى صور القصر من الخارج ، ويتذكر شكل القصر من الداخل ، فيجتاح وليد شعور غريب ، وكأن القدر قد أعاد له حقًّا ضائعًا ، وكأن الموتى قد بعثوا من قبورهم ليحيطوه بحبهم ، وحنانهم لكن تداخل مع هذا الشعور خيط من الشك ، فالقصر مملوك لامرأة ... ترى ماذا ستفعل ؟! هل ستحافظ على تلك الجدران الدافئة أم تراها ستكون مثل الأخريات، وتحرمه الحب، والحنان ؟!

« آه يا مرام ليتك تكونين صريحة! وتحددين المبلغ الذي تريدين

إياه لبيع البيت ... لكن ماذا لو كان ما تعلنه هو الحقيقة ، وهي لا تريد بيع القصر... أيمكن هذا ؟! أيمكن أن تضحي امرأة بالملايين في سبيل إسعادي ؟! ... آه يا وليد أي سعادة تتحدث عنها ؟! إنها إن رفضت بيع القصر ، فسيكون في ذلك هلاكي ، فوقتها لن أستطيع التمتع به ... سأكتفي فقط بالنظر له من بعيد ، فهناك أسرة تحيطها السعادة تنعم بجوه الدافئ .»

امتلأ صدر وليد بالحنق ، وهو يتخيل مرام مع زوجها ، وهو يجلس على المقعد الكبير ، وهي بجواره تدلل إياه ، وتحيطه بحبها ، وحنانها ، والأولاد الصغار يملؤون القصر بضحكاتهم ، جز وليد على أسنانه .

« اللعنة على ذلك الرجل الذي يسعد بكل هذا النعيم ، ولا يقف بجوار زوجته حتى ظن الجميع أنها وحيدة ، والأغرب أنهم اعتقدوا أنها غير متزوجة ... آه ما هذا السخف أيمكن أن تكون امرأة مثلها ولم تتزوج بعد؟... يا لهم من أغبياء ... لا .. لا إن الأحمق الحقير هو هذا الوغد الذي تزوجته مرام.»

(٣)

لم يذق وليد طعم النوم في تلك الليلة لا هو ، ولا مرام هي الأخرى، فقد وجد كل منهما نفسه ، وقد عاد به الزمن سنوات للوراء ، وها هو الماضي بكل ما يحمله من حب ، ورعاية قد عاد يحيط به ، ويتجسد في قصر جليم الذي تحيطه شياطين الإنس تريد أن تنقض عليه ... تحطمه ... وتقضي على كل الحب ، والحنان الذي يبطن جدرانه .

فينقبض قلبا وليد ، ومرام ، ويضيق صدرهما عندما يتخيلان من يتربص بالقصر ، والمصير الذي ينتظره ، فيفر النوم من عيونهما ، ويسرع كل واحد إلى الشرفة يستعجل قدوم الشمس ، وما أن أشرقت الشمس حتى وجد وليد نفسه على شاطئ البحر ، ومرام أمامه تقذف بعملة الأماني في البحر.

- معاكي ربع جنيه زيادة .

أفزع صوت وليد مرام ، فقد كان أخر شخص تتخيل أن تراه على الشاطئ خاصة بعد ما حدث بينهما في اليوم السابق ، فنظرت له بحدة ، وتخيلت أنه يحاول أن يتحدث معها بمودة حتى يعيد الكرة، ويتحدث مرة أخرى في أمر بيع القصر ...فهم وليد نظرات مرام الحادة ، فأعاد سؤاله لها بجدية .

- أنا فعلًا عايز ربع جنيه عشان عايز أرمي أمنية في البحر ، وصدقيني

الموضوع شخصي ، ومالوش دعوة بالموضوع إللي بيضيقك .

نظرت له مرام بريبة ، وأخرجت من جيب «البنطلون» الذي ترتديه عملة معدنية ... كان وليد يتفحص مرام بنظراته ، وهي تبحث له عن العملة، ولاحظ ما تتمتع به من قوام جميل متناسق ... أما شعرها فهي تحرص على تركه ينسدل فوق كتفيها ليداعب الهواء خصلاته كيفما شاء، وهي تكتفي فقط بوضع الشرائط الملونة فيه لتزيد من جمال شعرها الأسود الناعم الذي يعلو وجهها المشرق كنور الشمس .

انقبض صدر وليد ، وتراجع للخلف عندما قدمت مرام له العملة المعدنية ، وتلاقت عيناها بعينيه .. أحس وليد وقتها بجسده كله ينتفض ، فلم يأخذ منها العملة بل تركها ، وأسرع بمغادرة المكان ، ومرام في حيرة من أمره .

أحس وليد بالحنق الشديد ، فقد كان واقعًا في دائرة مغلقة من الأحزان، فها هو القدر يلعب لعبته الدائمة معه ، ويجعله يتعلق بما لا يستطيع أن يملكه في أي يوم من الأيام .

« ما هذا الهراء ، والسخف؟ أي امرأة تلك التي أتعلق بها ؟! الأمر كله إنها ... إنها امرأة مختلفة .. تتمتع ببعض الملامح الجميلة .. أجل إنها جميلة ، وجميلة جدًا ، فمن الطبيعي أن تلفت انتباهي ، لكن أن أتعلق بها... لا ..لا يمكن ... هل أنا مجنون لأتعلق بامرأة متزوجة ؟!!! ، وماذا عن القصر... آه إنه القصر الذي أحيا كل ذكريات الماضي ، وكأنها بعثت من القبور هل أتركه للشركة لتحوله إلى فندق على الطراز القديم ، ويفقد كل ما يبطن جدرانه من حب ، وحنان أم أتركه لشخص آخر ينعم به؟.. آه

هكذا ، وللمرة الثانية أتعلق بمكان ليس لي الحق فيه».

ظلت الأفكار تطارد وليد ، فحاول أن يطردها من رأسه ، لكنه لم يستطع حتى كادت رأسه أن تنفجر من الألم ، ولم يستطع أن ينجز أي عمل في يومه ، فآثر أن يترك العمل مبكرًا ، وعاد إلى حجرته بالفندق ليأخذ ولو قسط بسيط من الراحة .... أغمض عينيه ، وهو ما بين اليقظة ، والنوم وجد نفسه طفلًا صغيرًا يجري لاهثًا في طرقات مظلمة ، والهواء البارد يعصف به ، ودقات قلبه أقوى من أصوات الرعد ، فيظل يعدو ، ويعدو ليتراءى له عن بعد بيت مضيء يسرع إليه ليحتمي بجدرانه الدافئة ، وما أن يبدأ بالشعور بالأمان حتى يظهر أمامه ثلاث نساء يعرفهن جيدًا رغم أنهن لا يظهرن أمامه في صورة آدمية ، بل كانت وجوههن وجوه شياطين ، لكنه كان يعرفهن، فهن: زوجة أبيه ، وزوجة خاله ، وخالته ... هؤلاء الشياطين الثلاثة يمسكن به ، ويقذفنه خارج البيت الذي اختفى فجأة من أمامه ، لكنه لم يكن بيت جدته لقد كان قصر مرام .

استيقظ وليد من نومه فزعًا ، والعرق يتصبب منه ، فأسرع إلى النافذة ليجد مرام واقفة على شاطئ البحر تتابع منظر الغروب ، ودون أن يدري وجد نفسه أمامها ... كانت مرام قد أنهكها التعب، فقد قضت يومها تبحث عن مكان مناسب لتجعله مقرًا لمكتبها الجديد للديكور ، كما اجتمعت مع العديد من الزملاء ، والأصدقاء الذين لديهم مشاريع خاصة لتتعرف على كل الخطوات التي عليها اتباعها، كما قابلت صاحب المكتب الهندسي الذي كانت تعمل فيه من قبل ...وهكذا كانت مرام تسابق الزمن، ولم يكن لديها أي استعداد للحديث في أي موضوع آخر غير العمل .

اسود وجه مرام عندما رأت وليد ، فقد توقعت وقوع مشاحنات بينهما ، لكن كان وجهه لا يدل على شيء سوى الإرهاق الزائد ، فوجهه كان مكفهرًا، وشعره أشعث ، وأنفاسه لاهثة ... انتبهت مرام لحالته السيئة .

-خير، مالك ؟.. شكلك تعبان قوي .

لم تنتظر مرام إجابة منه بل أخرجت من حقيبتها دواءً مسكنًا ، وزجاجة مياه صغيرة .

-أنا دايما معايا مسكن .

أخذ وليد منها الدواء ،وزجاجة الماء، وهو صامت ، وعيناه تسكنهما سحابة شجن ، وتحدث بصوت واهن .

-أنا أول مرة من أكتر من خمسة وعشرين سنة حد يهتم بصحتي ، ويديني دوا .

ابتسمت مرام ابتسامة واهنة ، وهي تنظر إلى وليد وهو يأخذ الدواء

- مش ممكن أكون بأديك مخدرات عشان تدمن .

أطلق وليد ضحكة صافية

- ووقتها أكون تحت سيطرتك ، وما أقدرش أضايقك بسبب موضوع القصر .

- والله فكرة .

- لكن فيه مشكلة بسيطة .

نظرت له مرام متسائلة

- أمثالك إللي بيتمسكوا بالتراث لا يمكن يكونوا تجار مخدرات .

شاركته مرام الضحك

– فعلًا دول عندهم قصور حقيقية بجد مش مجرد بيت قديم .

شرد وليد قليلًا ، ونظر لمرام بريبة ، فها هي ترى قصرها مجرد بيت قديم ، فظن أن هذا التعليق قد يكون بداية لمساومة جديدة أو تراها وافقت على العرض الذي قدمه لها ، لكن مرام فاجأته

– لكن نعمل إيه التراث ده دين للأبناء ، وليس هبة من الآباء .

ارتجفت كل أوصال وليد عندما سمع تعليق مرام ، وتركها مسرعًا ، واتجه مباشرة إلى حجرته بالفندق ، وأحكم إغلاق بابها ، وكأنه يحتمي بجدرانها .... وضع وليد زجاجة المياه على المنضدة المقابلة لسريره ، وظل طوال الوقت يتأملها ، ويتذكر مرام ، وهي تعطيه الدواء ... فجأة شعر بصدره يضيق من شدة الغضب الذي تملكه ، فظل يجوب حجرته ، والصرخات المكتومة تنفجر بداخله

« لماذا تفعل ما تفعله ؟! ما الهدف الذي تسعى إليه ... أتريد أن أتعلق بها لتفرض سطوتها علي ... لا يمكن إنها سيدة محترمة لها زوج ، وأولاد، فلماذا تفعل معي كل هذا .... لماذا .... لماذا ؟؟!!»

لم يكن وليد هو وحده الذي في حيرة من أمره ، فمرام هي الأخرى كانت في حيرة من أمرها هي الأخرى مما يفعله وليد ...

« ما هذا الجنون؟ للمرة الثانية يتركني مسرعًا ، وكأنه رأى عفريتًا لماذا فعل معي ما فعل ؟! مرة يتحدث بلطف ، ومودة ، وكأنه صديق مقرب، وسرعان ما يفر هارباً من المؤكد أنه مجنون ... لا ... لا ... إنه يريد أن يشغل تفكيري ، وطبعًا هذا مدخل معروف في أمور المساومات... ماذا

يظن هذا المغرور ... ولم لا ... فهو رجل وسيم ملامحه كلها رجولة بالمفهوم التقليدي... طويل القامة ...عريض المنكبين ، وأنا الفتاة الوحيدة التي تعدت الثلاثين ، فأي رجل يحاصرها ، ويشغل تفكيرها تكون رهنًا لإشارته بسهولة يا له من أبله! وتفكيره تقليدي ... تقليدي ليعود إلى القاهرة ، فهذا الأسلوب مناسب لبناتها، أما بنات الإسكندرية ، فلهن وضع خاص».

رغم محاولة مرام إقناع نفسها بأن وليد ليس أكثر من شخص مخادع يحاول أن يلعب على كل الأوتار ليسلبها بيتها، فقد تملكها شعور غامض عندما لم تراه على الشاطئ وقت الشروق ... امتلأ صدرها بالضيق، وأحست بأن هناك شيئًا تفتقده ، وعبثا حاولت إنكار هذا الشعور

« ما هذا الهراء ماذا أصابني ... لماذا أشعر بالضيق ، وما سر حالة الانتظار التي تتملكني؟.. آه ربما كل هذا سببه التوتر الذي أعيش فيه الآن... طبيعي ، فأنا أبدأ عملًا جديدًا ، وحياة جديدة ، فلابد أن أكون متوترة هذا كل ما في الأمر ، ولا شيء غير ذلك».

ظلت مرام تؤكد على نفسها أن سبب توترها الوحيد هو عملها ، ولا شيء غير ذلك .... حاول وليد هو الآخر أن يطرد من تفكيره كل شيء يتعلق بمرام ، وركز في متابعة الأعمال الكثيرة المعطلة ، لكن كان لديه شعور خفي بأن هناك شيئًا يفتقده في هذا اليوم مما جعله يشعر بالقلق، والتوتر طوال الوقت ، وقد لاحظ كل العاملين معه توتره ، لكن لم يجرؤ أحد أن يشير لهذا الأمر ، فوليد مشهور بحزمه ، وجديته في العمل ، وإنه دائما ما يضع حاجزًا بينه ، وبين كل من يعمل معه ، فلا يمكن لأي شخص

أن يتحدث معه في أي أمر شخصي، لذا اكتفى البعض بالتلميح عن التغيرات التي طرأت عليه ..

كانت هذه التلميحات كافية ليترك وليد مقر عمله ، ويتجه إلى شاطئ البحر ، وظل يتأمل الشمس ، وهي تعانق البحر في الأفق البعيد .

« آه ... هكذا هو حالي، وهم دائم... كالبحر يتوهم أن الشمس تقترب منه لتغدق عليه بحبها ، وحنانها لكنها في الحقيقة تشرق في مكان آخر بعيدًا عن البحر الذي يشتاق لها دائمًا.... إنها هي الشمس دائمًا بعيدة عني، وأنا أشتاق لها ، وهي تبث الحب ، والدفء لمن يقف على الشاطئ البعيد».

أخرج وليد من جيبه عملة معدنية ، وقربها من فمه ، وأخذ يخبرها بكل أسراره ، وأمانيه ، ثم قذف بالعملة بعيدًا في البحر ... وكأن القدر قد استجاب له ، فقد وجد مرام أمامه ، ولبرهة توهم وليد أنه مازال سابحًا في بحار أحلامه ، لكنه اصطدم بأرض الواقع على صوت مرام الذي كان يملؤه الغضب .

– للأسف أنا صدقتك ، وافتكرت أن أعمال البلطجة انتهت ، لكن من الواضح إنكم لسه مصرين على المشي في الطريق ده .

لم يفهم وليد ما تقوله مرام ، لكنها لم تعطه الفرصة للاستفسار وواصلت حديثها الحاد

– إنتم إيه ، والله أنا عندي الموت أهون بكتير من ترك بيتي أنا عارفة طبعًا إنك ممكن تفتكرني واحدة مجنونة ، لكن دي الحقيقة فريحوا نفسكم ، والله العظيم لو إديتوني كنوز الدنيا كلها دي ماتساويش تمن

طوبة في جدار بيتي ... طبعًا دي حاجات لا يمكن يفهمها واحد زيك ، ويمكن يفتكرني مجنونة ، أو عاملة تمثيلية عشان أرفع في تمن البيت ، لكن صدقني دي الحقيقة .

وجم وليد ، ولم يستطع الرد عليها ، لم تمهله مرام ، وتركته ، والغضب يملؤها ... ظل وليد متجمدًا في مكانه ثم تبع مرام حتى إن وصلت إلى بوابة البيت وجدت من يوقفها مناديًا عليها ، فالتفتت لتجد وليد أمامها ، لكنها أشاحت بوجهها عنه ، واتجهت لتدلف إلى منزلها ، فاستشاط وليد غضبًا ، وأمسك بيدها ليوقفها ، فازدادت مرام غضبًا ، ونزعت يدها من يده... شعر وليد بالحرج الشديد

– آسف ، لكن ممكن توقفي شوية ، وتشرحي لي إيه إللي حصل .

نظرت له مرام بضجر

– أف ... يعني إنت مش عارف .

رد عليها وليد بحدة

– مرام لو سمحت إيه إللي حصل .

أشارت مرام إلى الحديقة

–لتاني مرة ترموا ببقايا البناء في الجنينة وكمان حد ظريف رمى طوبة ، وكسر الشباك فاضل إيه تاني .

نظر لها وليد بعيون ثاقبة

– إهدي .

قاطعته مرام واستمرت في الصياح

- واضح إن موضوع البلطجة مش حا ينتهي .

رد عليها وليد بحزم

- لو سمحتي ... ادخلي البيت ، واعملي شاي وأول ما الشاي يخلص حا تكون كل حاجة تمام .

حاولت مرام الكلام، لكن وليد لم يمهلها ، وأشار لها

- مرام ...إتفضلي دلوقتي ، وكل حاجة حا تتحل على أكمل وجه .

نفذت مرام كل ما أمر وليد به ... وما أن انتهت من عمل الشاي حتى وجدت وليد يطرق بابها

- الشاي خلص .

وجمت مرام قليلا

- آه خلص .

دلف وليد إلى البيت مباشرة ، وجلس على المقعد الكبير ، وطلب منها أن تحضر الشاي ... أذعنت مرام لكل أوامر وليد ، وكأنها مسحورة ، ولم تعد إلى طبيعتها إلا على صوت وليد يعلق على ما تقدمه له

- إيه ده أنا قلت شاي مش حفلة شاي .

كانت مرام قد أحضرت الشاي في طقم خزفي فاخر ، وقدمت معه طبقًا من الحلوى ... قدمت مرام الشاي ، والحلوى لوليد الذي كان يتفحصها بنظراته ، وسحابة من الدهشة تسكن عينيه ... فكيف لها أن تعيد نفس المشهد الذي كانت والدته تقوم به دائمًا عندما كانا يقضيان الأمسيات في بيت الجدة ... كانت والدته تقدم له الشاي والحلوى ، وهو يجلس على المقعد الكبير ، وتقدم له والدته فنجان الشاي، وطبق الحلوى بأداء تمثيلي،

وتدعوه بالأمير الصغير ، وكعادة وليد يرتبك ، وهو يمسك بالفنجان في يد ، والطبق في اليد الأخرى ، وكما كانت تفعل والدته وضعت مرام أمامه منضدة صغيرة ليضع وليد عليها الفنجان ، والطبق ، وهو يحاصر مرام بنظراته الحالمة ... أربكت نظرات وليد مرام ، فحاولت الهروب من نظراته ، وإخفاء ارتباكها بالحديث المباشر ، والجاد في أمر المضايقات التي تتعرض لها

-ممكن أعرف إيه إللي حصل .

عاد وليد من الماضي السحيق بوجه مشرق ، واحتسى الشاي ، وتناول الحلوى باستمتاع شديد ، وسعادة تفوق الوصف ... كان وليد يختلس النظر إلى مرام التي كانت مضطربة بشكل واضح تنتظر رد وليد ليفسر لها ما يحدث ، وأخيرا تكلم

- الموضوع بسيط جدًا .

احتدت مرام

- أستاذ وليد لو سمحت ...

قاطعها وليد ببرود

- مرام، إهدي ولا إنت على طول كده ... فيه إيه شوية عمال رموا الرابش في الجنينة ، وأنا أمرتهم ينضفوها ... يعني الموضوع بسيط .

نظرت له مرام بحدة ، فابتسم وليد ابتسامة كسولة ، واستكمل تناول الحلوى

- جميلة جدًا، إنت إللي عملتيها ؟ .. لا، شكلك ما تعرفيش لا تطبخي ولا تعملي حلويات .

احتدت مرام

- أستاذ وليد ....

قاطعها وليد

- خلاص يا ستي إنت أستاذة في المطبخ ما تزعليش .

ردت عليه مرام بضجر

- أستاذ وليد الموضوع خطير ، وأنا مش حا أبيع البيت .

- ما تبعيش وأنا مالي .

أخرج وليد من جيبه بطاقة قدمها إلى مرام

- ده الكارت بتاعي فيه كل أرقام تليفوناتي لو حصل أي مشكلة اتصلي فورًا ، وبعدين إنت شوفتي أي حاجة بتحصل أنا بأحلها في لحظة .

نظرت له مرام بحدة ، وكأنها طفلة غاضبة

- لسه الشباك .

ابتسم وليد لها

-أوامرك ... ده أنا إللي أصلحه بنفسي طالما في الموضوع شاي ، وحلويات.

ابتسمت مرام

- أصل إنت مش عارف قيمة الشباك ... ده الشباك الخاص بجناح جدي محمود ، وكان دايمًا يحب يشرب الشاي ، وهو يبص على الجنينة منه .

أكمل وليد حديثها

- عشان حوض الزرع إللي كان الشباك يطل عليه ، وكان مزروع نعناع، وجدو محمود يحب يشرب الشاي بالنعناع لكن مرام الشقية كانت تقطفه وتغيظ جدو .

اتسعت عين مرام من الدهشة

- إنت عرفت ده إزاي ؟!

- من التمثال المكسور إللي بقى موضة .

أطلق وليد ضحكة خفيفة

- أنا كمان كان عندي بيت قديم كان بيت جدتي ، وكان فيه بلكونة فيها حوض زرع ، وكنت دايمًا أغيظها وأقطف الزرع .

شاركته مرام الضحك

- وطبعًا دلوقتي ولادك بيعملوا في جدتهم نفس الشيء .

- ما فيش حاجة من دي خالص .

- نعم .

- يعني مافيش لا أولاد ، ولا زوجة ، ولا جدة ، ولا حتى أم مافيش حاجة، حتى البيت القديم هدوه .

رسم الشجن لوحته على وجه وليد ...أحست مرام بالمرارة التي يتحدث بها ، فغيرت مجرى الحديث

- المهم إنتم حا تنتهوا من الفندق ده إمتى ؟

ابتسم وليد

عشان ما تشوفيناش تاني .

- لا ... لكن ...

لم تستطع مرام استكمال جملتها ، فلم يكن لديها ما تقوله ... أدرك وليد ما كانت تسعى مرام إليه ، فشعر بمزيد من الشجن ، واستأذن في الانصراف

انتابت مرام مشاعر متداخلة ، وشعرت باضطراب شديد ، فحاولت أن تقنع نفسها بأن كل ظنونها في وليد صحيحة

«رجل عازب يظهر اهتمامه بالفتاة الوحيدة ...يطلق كلابه عليها لتخويفها ليصبح هو البطل المنقذ... آه يا وليد كل ذلك من أجل البيت... أنا لا أدري ما هي قيمة البيت بالنسبة لك ... آه رغم أنني واثقة من ظنوني تجاهك ، لكن هناك شيء غامض بك يحيرني دائمًا لماذا أرى نظرات الحب في عينيك نحو كل شيء في البيت ... جدرانه ... أثاثه ... ألوان حوائطه؟.. إنني أراك عاشقًا للبيت، وتعرف الكثير من أسراره ... لكن لماذا أشغل نفسي بالتفكير في وليد ، وأنا أعرف حقيقة نواياه ... آه يا مرام، حذار ... حذار ، فهذا هو بداية الطريق الذي أقسمت ألا أخطو فيه ولا خطوة واحدة ... لن أتعلق بأي شخص ، فأنا أعلم جيدًا أن الفراق هو النهاية المؤكدة .»

زفرت مرام زفرة ألم ، وشعرت بصدرها يضيق حتى أنها لم تقدر على التنفس بسهولة ، فخرجت إلى الشرفة ، وتذكرت كيف كانت الأسرة في مثل هذا الوقت من العام تقضي الأمسيات في الشرفة... نفس المنضدة... نفس المقاعد ، لكن كلها كانت خالية ، والظلام يحيط بالمكان ... فانفجرت دموع مرام أنهارًا ... أنهارًا .

(٤)

لم تذهب مرام إلى الشاطئ وقت الشروق رغم كم الأماني التي كانت تشتاق لتحقيقها في ذلك اليوم ، لكنها آثرت البقاء في المنزل ... حاولت في البداية ادعاء التعب ، والكسل ، لكنها في الحقيقة كانت تعرف السبب الذي منعها من الذهاب للشاطئ ... إنه وليد ، ولا أحد غيره ، فهي لا تريد أن تفكر فيه ، ولو برهة واحدة.... رغم هروبها وجدت نفسها غارقة في التفكير فيه طوال الوقت حتى أنها أصبحت على يقين من أنها لو كانت قد ذهبت إلى الشاطئ لكان الأمر أهون بكثير .

كان وليد أمامها دائمًا ، فلم تستطع التركيز في عملها ، وظهر الضيق ، والتوتر على كل ملامح وجهها ... وكم كانت تنتابها حالات من الشرود ليرن في أذنها صوت وليد ، وتتذكر تعليقاته المختلفة .

«أف ... لماذا أتذكره دائمًا ؟... من المؤكد أنني قد جننت حتى أفكر في من يسعى ليسرق بيتي ... آه يا مرام ... ماذا حدث ؟!...هل جننت ؟! ما هذا السخف ... أنا أحمل الأمور أكثر من معناها ... كل ما في الأمر أن وليد شخص ظريف يناور ، وأنا أحب المناورات ... مرام ركزي في عملك ، ولتنحي جانبًا كل السخافات ... فوليد شخص عابر في حياتي ، وسرعان ما سيعود إلى القاهرة مقر عمله».

أغمضت مرام عينيها برهة ، وكأنها تغرق كل أفكارها بشأن وليد في بحار النسيان ، ثم اندمجت في عملها بجد ، وإخلاص ، فهو بالنسبة لها طوق النجاة من كل الأحزان ، والسخافات التي تحيط بها .

« يجب أن أنجح ، وأن أصل إلى أعلى مراتب النجاح ، فهناك من يتابع خطواتي في الأفق البعيد . »

ازداد حماس مرام ، فأنجزت العديد من الأعمال ، وواصلت يومها بجد ، ونشاط ، فقد اختفت صورة وليد من مخيلتها .... لكن ظلت صورة مرام تطارد وليد طوال الوقت .... كان الغضب يتملكه لأنه لم يرها في الصباح الباكر ، فقد ظل واقفًا في شرفة غرفته لفترة طويلة ينتظر أن يراها واقفة على الشاطئ تقذف بعملة الأماني ، لكنها لم تحضر ..

أحسَّ وليد أنه هو الذي خسر أمنيته ذلك اليوم ، وظل يسأل نفسه طوال الوقت عن سر تخلف مرام عن موعدها مع الشمس .

«ربما كانت مريضة... لا...لا قدر الله ، لكن ماذا سأفعل إن كانت مريضة ؟! وقتها كيف سأتمكن من الاطمئنان عليها ؟! ...لا ...لا يمكن أن تكون مريضة لقد تركتها بالأمس ، وهي في حالة جيدة .... ربما الأمر أبسط من ذلك ، وقد غلبها النعاس هذا الصباح أنسيت عندما ذهبت إليها أول مرة،لقد كانت نائمة رغم أن الساعة وقتها كانت قد جاوزت العاشرة... آه ربما قضت أمسية رائعة مع زوجها ، وهذا سر تخلفها عن موعدها مع الشمس أم تراها قد ذهبت مع زوجها لقضاء إجازة قصيرة ، فنحن في نهاية الأسبوع».

أكلت الغيرة وليد ، وانطلقت من عينيه نيران حقد عارمة كانت كافية

لإحراق الإسكندرية كلها ... اشتدت صيحات الغضب التي كانت تدمي قلبه .

« والله لو كان يستحقها كنت تمنيت لهما السعادة ، لكنه شخص حقير.... وغير أمين عليها ... يكفي أنه يتركها طوال الوقت تواجه المشاكل، وهو منشغل عنها .. أترى عمله يستغرق كل وقته أم هو من نوعية من يهرب من مواجهة المشاكل ... آه! أيمكن أن يوجد في الدنيا كلها شخص مرتبط بامرأة مثل مرام ، ويتركها تواجه بمفردها أي مشكلة يا له من وغد حقير؟!!»

وجد وليد نفسه ، وقد عاد به الزمن لأكثر من عشرين عامًا ، وأصبح مراهقًا على أعتاب الشباب يطارد فتاته ، ويتتبع أخبارها كان يريد أن يعرف هل هي بالفعل في رحلة مع زوجها أم تراها ستعود إلى الشاطئ مع غروب الشمس ، لكن كيف سيتتبع أخبار امرأة متزوجة ، ولا يلفت النظر إليه ؟!

آه البيت ... بيت مرام، فليكن هو الحجة التي يسوقها لتبرير تعقبه لها ، لكن وليد لم يتمهل ليسوق الحجج ، فقد ذهب بنفسه يطوف حول البيت عله يعرف أسرار قاطنيه ... كان طوال الطريق يفكر في أنه عليه أن يتصرف كنائب رئيس شركة بناء عملاقة ، ويأمر أحد معاونيه ليتعقب مرام بحجة رغبة الشركة في شراء قصرها ، لكن كان عقله يفكر ، وقدماه تسيران مسرعتين في اتجاه القصر ليطوف حوله ، ويتأمله من الخارج ، ويرى المباني المحيطة به ... يلاحظ محل بدال صاحبه رجل عجوز ... يسرع وليد للبدال ليشتري منه أشياء كثيرة ، وأثناء الشراء يتحدث معه وليد

بودٍّ، ولطف ليعرف منه بعض المعلومات عن المنطقة بشكل عام ، وأهم القصور الموجودة بها ، وما بقي منها على حاله ليتركز الكلام بعد ذلك على قصر الحناوي ، وقصة بنائه الشهيرة عندما بناه الجد الكبير لولديه ، وكيف عاشت العائلة الكبيرة فيه في سعادة ... ثم انتقل الحديث عن أميرة القصر الحالية مرام هانم كما كان يطلق عليها البائع العجوز ...اكتفى وليد بما جمعه من معلومات ، وأيقن من خلالها أن مرام ليس لديها أولاد .

« فلماذا تبقى مع هذا الوغد الحقير ... لا أولاد ، ولا اهتمام ، ولا حتى حب ... أقسم أنه لا يحبها... أجل هو لا يحبها ... أنا واثق من ذلك .»

كانت الشمس قد أوشكت على الغروب ، فأسرع وليد إلى شاطئ البحر ... كانت مرام تقف تتأمل الشمس ، وفي يدها عملة الأمنيات التي كانت تسر إليها بعدد كبير من الأحلام ، كانت مرام تتحدث بصوت مرتفع قليلًا ، وصل إلى مسامع وليد أو هكذا تخيل فقد كان يقف خلفها تمامًا ... لم تشعر مرام بوجوده ، بل ظلت غارقة في بحار أمانيها ، وفجأة رجعت بيدها للخلف لتقذف بالعملة إلى أبعد مدى ، فاصطدمت يدها بوليد أو هكذا ادَّعى ليمسك بيدها وهو يضحك ، فزعت مرام مما حدث ، وأبعدت يدها مسرعة ...

كانت الابتسامة تملأ وجه وليد

- آسف ما كنش قصدي أزعجك لكن أنا ما حبتش أقاطعك و إنت بترمي عملة الأماني ، وأنبهك بوجودي .

وجمت مرام لفترة ، ووليد ينظر إليها وهو يبتسم لهذه الأم الحنون التي تشعر بمرضه و تقدم له الدواء، ثم سرعان ما تتحول إلى طفلة صغيرة

بوجه كله براءة ، فلم يدر وليد هل يرتمي في أحضانها ليشعر بالدفء ، والحنان أم يأخذها بين ذراعيه لتحتويها ضلوعه ؟! ... اكتفى وليد بأن طوق مرام بنظرات عينيه ... ضاقت مرام من حصار وليد لها ، فابتعدت عنه ، واتجهت إلى البحر لتقذف بعملتها فيه ، وبعدها عادت إلى منزلها دون أن تنظر له .

أدرك وليد أنه تجاوز كل الخطوط ، فمرام امرأة متزوجة ، ولن تجاريه في مشاعره ، فهي سيدة محترمة بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ .... ظل وليد يتقلب في فراشه طوال الليل من شدة النيران التي تكوي قلبه، وفي الصباح قرر أن يترك الإسكندرية ليعود إلى القاهرة ، فهذا أفضل للجميع....

انتظر وليد حتى أشرقت الشمس ، فأسرع إلى شرفته ليرى شمسه ، وهي واقفة على الشاطئ تقذف بعملة الأماني في البحر ...

كانت مرام تستقبل يومها بإشراق ، وقد أخرجت من تفكيرها كل ما يتعلق بوليد ، فقد كان لديها جدول مشحون بالأعمال ، فقذفت بالعديد من العملات علها تستطيع إنجاز أعمالها كما تتمنى ... شرد وليد ، وهو يتابع ما تفعله مرام ، وعلت وجهه الابتسامات ، فهذه الطفلة تقذف بالأماني في البحر ، وهي تظن أنها ماكرة تخدعه لكنها في الحقيقة طفلة بريئة تحاول أن تحصل على الضمان من أكبر شخص فيما حولها ليطمئن قلبها ...

« آه يا مرام! من المؤكد أن نشأتك وسط عائلتك الكبيرة أوجد لديك تلك المشاعر التي أعرفها جيدًا، بل أنا أكثر شخص يعرفها ، وكم انخدعت من الثقة الزائدة في أكبر أفراد العائلة ... آه يا جدتي! كم كانت تكفيني

كلمتك لأشعر بالأمان ، لكن ها هي كلماتك ذهبت أدراج الرياح ، فبعد وفاة والدتي لم تبق معي العمر كله إن هي إلا عامان ، ورحلتي ... والبيت الذي وعدتِ إياي بأنني لن أغادره طردني منه خالي ، وخالتي ليبيعوه .»

رن في أذن وليد صوت والده ، وهو يعده بالحفاظ على البيت ، وشراء نصيب خاله ، وخالته ، لكن سرعان ما تتدخل زوجة والده في الأمر

« وليد ده زي أيمن ابني تمام، يعني لازم يعيش معانا مش تشترى نصيب خاله ، وخالته ، وتخليه يعيش لوحده .»

أغمض وليد عينيه ليهرب من سيل الذكريات المؤلمة الذي يدمره ، وانطلقت صيحات الغضب بداخله .

« ولماذا مرام هي الملاك ربما تكون أفعى مثل زوجة والدي ... لا... لا يمكن ... وليد، لا تكن مجنونًا ، لقد عرضت عليها خمسة ملايين جنيه فوق ثمن البيت ، ورفضت ، ثم هل أنا طفل صغير حتى لا أفرق بين الشياطين، والملائكة» .

ظل وليد يتابع مرام ، وهي تقذف بأخر عملة في البحر ، وتنطلق لتبدأ يومها ، وفجأة جال بذهن وليد خاطر.

« أين زوجها؟ أنا لم أره كما لم يذكره البدال العجوز أتراها مطلقة أم... أم تراها لم تتزوج بعد كما ظن بلهاء الشركة ... ما هذا الهراء من ذا الذي يطلق مرام ؟!»

ثم ابتسم لنفسه ساخرًا

« لم تتزوج بعد ... آه هذا بعض من أوهامي ... أيمكن هذا ؟! هذا إن حدث سيكون سبة في جبين كل رجال مصر» .

رغم قرار وليد السابق بالعودة إلى القاهرة ، فقد وجد نفسه يغير كل قراراته ، ويلاحق مرام ليرى ماذا تعمل ، وأين ، وما هي المهام الكثيرة التي عليها إنجازها اليوم ، وجعلتها تلقي بكل هذه العملات في البحر ؟

كان وليد طوال الوقت يؤنب نفسه عما يقوم به .

« إنها امرأة متزوجة ، فلماذا أشغل نفسي بها ، فهي لن تكون لي في أي يوم من الأيام ... وحتى إن حدثت المعجزة ، وكانت غير متزوجة ... ماذا يمكن أن يحدث ؟! هل يمكن أن أثق في امرأة ، وأسلمها قلبي ؟! ماذا لو كانت مثل خالتي أو زوجة أبي ؟ ما هذا السخف ... وأي كذب هذا الذي أدعيه؟ ... لقد سلمتها قلبي منذ أن رأيتها فهي مثل والدتي ... إنها مثل والدتي».

ارتجفت كل أوصال وليد عندما تذكر والدته ... ورنت في أذنيه أصوات متداخلة ، وكأن كل شياطين العالم تتآمر عليه ، وتكرس بداخله فكرة أنه طفل ملعون حرمه القدر من كل الأشخاص الذين يحبهم ، فيكفي أن يتعلق بشخص حتى يفقده في لمح البصر ...

شعر وليد برأسه تدور ، فحاول أن يوقف سيارته ، لكنه لم يستطع فقد ظل يلاحق مرام ، وهي تتنقل من مكان إلى آخر ... كان وليد يريد أن يعرف كيف تقضي مرام يومها ، ومتى ترى ذلك الأحمق الذي من المفترض أن يكون زوجها .

أسقط في يد وليد عندما رأى مرام تقابل شخصًا في إحدى المقاهي على البحر ... كان الرجل يبدو عليه الوقار ، فهو رجل كبير في السن يكسو شعره اللون الأبيض يرتدي حلة داكنة اللون تزيد من وقاره ،

وتوضح المستوى المادي المرتفع الذي يتمتع به .

استقبل الرجل مرام بترحاب مما يوضح عمق العلاقة بينهما ، فانفجرت الأسئلة في رأس وليد

« أتراه زوجها ، ويعيشان معًا كالعشَّاق ... ولم لا ؟! من تنشأ وسط عائلتها الكبيرة ، وتفقدها في فترة قصيرة من الطبيعي أن تميل لكبار السن، وهكذا رجل حقير استغل ضعف فتاة وحيدة».

وباندفاع وجد وليد نفسه يقف أمام مائدة مرام ، ويوجه لها الكلام بحدة، وغيظ

– إحنا لسه ما حلناش موضوع الشباك .

شعرت مرام بالحرج الشديد مما فعله وليد ، وارتبكت قليلًا ، لكنها حاولت معالجة الموقف ، وقدمت وليد لرفيقها

– الأستاذ وليد الحسيني ....

قاطعها رفيقها

– أهلًا وسهلًا ، طبعًا الأستاذ وليد غني عن التعريف .

استشاط وليد غيظًا من الرجل ، وتأكد من أن ظنونه كلها كانت صحيحة، فانطلقت براكين الحقد ، والغل من عينيه علها تفتك بهذا العجوز ... دعا الرجل وليد ليجلس على مائدته ، فلبَّى وليد دعوته ، والغيظ يأكله ..ارتبك الرجل من نظرات وليد القاسية ، وأحس أنه ارتكب خطأ فادحًا ، وللأسف لا يعرف ما هو ... شك الرجل في أن يكون وليد على علاقة بمرام ، ويغار عليها ، فأسرع بتقديم نفسه له ، وتوضيح الأمر كاملًا

– حسن الوكيل مهندس ديكور .

ابتسمت مرام

– دكتور حسن من أشهر مهندسى الديكور في الإسكندرية ، وكان أستاذي في الجامعة ، وكمان اشتغلت في مكتبه فترة .

تهلَّل وجه وليد بالفرح ، وتبدلت كل ملامح وجهه ليعلوه الابتسامات، وانطلقت من عينيه نجوم البهجة

– أنا سامع عنك يا دكتور حسن، لكن للأسف ما أسعدنيش الحظ ، وقابلتك .

– أنا إللي على طول بأسمع عن عبقريتك يا باشمهندس ، وكان نفسي أشوفك ، لكن أعمل إيه في مرام دايما تبقى عارفة الحاجة المهمة ، وتخبيها... شقية لكن نعمل إيه بنحبها .

نظر وليد لمرام متأملًا هذه الطفلة الشقية

– فعلًا ... هي كده ... تعرف حضرتك إنها كانت مخبية عني إنها مهندسة .

– دي أحسن تلاميذى ، واشتغلت فترة معايا ، لكن تركتني ، وكانت السبب في وقف حال المكتب .

أطلق دكتور حسن ضحكة صافية ، فقد أثار مرام التي اندفعت في الحديث

– لا، طبعًا مش أنا السبب في إللي حصل ، وبعدين حضرتك عارف إني كنت مضطرة عشان ظروف العيلة ، لكن حضرتك إللي قررت تقليل الشغل .

كانت مرام تتحدث ، ووليد يتأملها بنظرات حانية ، وابتسامة صافية

تعلو وجهه ، لاحظ الدكتور حسن ما يفعله وليد ، فحاول تنبيهه ، ووجه الكلام له .

– اشهد بيننا يا باشمهندس لما أحسن مهندسة في مكتبي تتركني ، وأنا راجل عجوز يعني مش عجوز قوي ، لكن عندي كل أمراض كبر السن .

ابتسم وليد

– أعتقد أن مرام ما لهاش ذنب في حاجة، اللهم إذا كانت هي إللي جابتلك كل الأمراض إللي عندك .

أطلق الرجلان ضحكة صافية قابلتها مرام بغضب طفولي

–دكتور حسن، حضرتك مهندس عظيم ، ومكتبك مش محتاج لي ، لكن أنا إللي محتاجة لحضرتك .

عاد وليد يطوق مرام بنظراته ، وهي تتحدث بجدية في موضوعات العمل ، والدكتور حسن يواري ابتسامته التي يبعثها ما يفعله وليد ، ويحاول بين الحين ، والآخر لفت انتباهه.

– إحضرنا يا وليد بيه ... مرام عايزاني أساعدها بعد ما تركت الشغل معايا ده ينفع ؟!

رد عليه وليد بصوت هادئ

– حلم كل واحد أنه ينال شرف مساعدة مرام .

– الله ...الله أروح أنا فين وسطكم، عمومًا أنا عند وعدي ليكي يا مرام، وحا أبذل كل جهدي لمساعدتك رغم إني واثق إنك حا تكوني منافسة قوية في السوق ، ومكتبك إن شاء الله حا ياخد كل عمليات الديكور في الإسكندرية ، ومصر كلها كمان .

استأذن الدكتور حسن في المغادرة ، وهو يبدي سعادته بلقاء وليد الذي تبادل معه البطاقات الخاصة بكل منهما ... وجدت مرام نفسها بمفردها مع وليد ، ووليد ينادي على النادل ، ويطلب لهما كوبين من العصير ... كانت مرام واجمة ، ولم تنطق بكلمة ، فهي لا تستطيع فهم ما يحدث ، وأخيرًا تكلمت

-خير يا أستاذ وليد فيه حاجة ؟!

ارتبك وليد ، وتلعثم في رده ، لكن حضور النادل أعطاه فرصة لاستجماع شجاعته .

-أبدًا... كنت معدِّي بالصدفة ، وشفتك ، فافتكرت موضوع الشباك .

نظرت له مرام بعينين تملؤهما الشك ، وعدم القدرة على تصديق ما يقوله ... فهم وليد نظراتها، فقد كانت تنفذ دائمًا بداخله .

-معك حق أنا كداب ، وكل إللي قلته كدب بصراحة، أنا حاسس إنك زعلانة مني ، ومش عارف أقابلك على البحر فانتهزت الفرصة لما شفتك.

أعطى وليد حجة لمرام لتنطلق في حديثها .

-أستاذ وليد، أنا صدقتك لما تعهدت بوقف كل أعمال البلطجة، وصدقت إن العمال عملوا كل حاجة من دون أمر الشركة .

-والله ده إللي أنا عارفه ، وأنا فعلًا ما عنديش فكرة عن أي حاجة .

احتدت مرام في الحديث

-إنت عرضت فلوس زيادة عشان أبيع البيت ، وكأني عاملة مزاد ، والموضوع بالنسبة لي مناورة لزيادة المبلغ كمان هددتني بمساحة البيت ،

وحاجات غريبة ، وبعدين ...

قاطعها وليد ، وهو ينظر لها معاتبًا

-يعني إنت فاكرة إني أنا إللي بأمر بأعمال البلطجة ، وبعدين أساومك، ولما الموضوع يفشل أضغط عليكي ، وأهددك .

نظرت له مرام بحيرة

-مش ده إللي بيحصل .

نظر لها وليد بغضب ، وطلب الحساب من النادل ... شعرت مرام بالحرج مما قالته ، واستأذنت ، وتركت المكان .

انتظر كل من وليد ، ومرام غروب الشمس بفارغ الصبر ، وكأنهما على موعد .... كان كل منهما ينتظر شيئًا مهمًا بالنسبة له ، لكنه لم يجرؤ على البوح بسره حتى لنفسه ، فوليد كان يحاول أن يقنع نفسه بأنه يشعر بالتعب، ومن الأفضل أن يسير قليلًا على الشاطئ ليريح أعصابه بمشاهدة منظر الغروب الجميل ، أما مرام فقد ادَّعت أنها على موعد دائم مع الغروب ، ولن تخلف موعدها أبدًا ...

وجاء الغروب لتلتقي عينا وليد بعيني مرام ، فيعانقها بنظراته ، ويحدثها بصوت رخيم

- أنا في نظرك شخص سيئ للدرجة دي ؟

ارتبكت مرام ، وردت عليه بحيرة

- أنا مش عارفة حاجة ... كل حاجة ملخبطة ، وبعدين موضوع البيت خد أكتر من حجمه ... يمكن إنت فاكرني مجنونة بتتمسك بالتراث لكن..

قاطعها وليد ، وحدثها بصوت هادئ حنون

-أنا كان عندي بيت زيك ، وكانت جدرانه دافية ، وكلها حب ، وحنان عشان كده أنا فاهم ، وعارف إنك مش مجنونة ... المجنون إللي يطلب منك ترك البيت .

شعرت مرام بنيران الخجل تملؤها ، فحاولت الابتعاد عن نظرات عيني وليد ، لكنها كانت محاصرة، فلم تستطع الفرار ، فتحدثت بصوت خافت

-لكن إنت معاهم .

-إنت مصدقة الكلام ده .

-لكن

اقترب وليد من مرام أكثر ، وأكثر ليغرقها بفيضان من المشاعر الجميلة التي تنطلق من عينيه ، وهمس لها

-أنا مع شخص واحد هو مرام ... مرام وبس .

ارتجفت كل أوصال مرام ، وشعرت بقلبها يخفق بشدة ، ففرت هاربة، وتركت وليد يشتعل قلبه بالنيران ، فيصب كل غضبه على زوج مرام

« اللعنة على هذا الحقير ... اللعنة عليه .»

(٥)

عاد وليد إلى الفندق ، وهو يسير بخطوات منكسرة ، ومطأطئ الرأس، وكأنه قائد قد خسر كل معاركه ، وليس أمامه سوى الانتحار ، فعزم على تنفيذ ما سبق أن قرره بالعودة إلى القاهرة

« ولتكن عودة نهائية ، وسأكتفي فقط بالإشراف على من سيتولى أمر الفندق ... سأكلف أي شخص بتلك المهمة ، لكن ماذا عن وعدي لمرام هل أتركها تواجه الأوغاد ، وهي وحيدة؟... لا ..إنها ليست وحيدة معها زوجها ، فليتولى هو أمرها ... وأنا ليس أمامي سوى الفرار».

كانت مرام هي الأخرى ترى أن الفرار هو الحل الأمثل ، والوحيد ، فقلبها كان يهرب من نظرات عيني وليد ، ويفر مختبئًا حتى لا يقع في الأسر ، فيكفيه ما عناه في السنوات القليلة الماضية ... كان لا يمضي عام دون أن يكوى بنيران الفراق ، وإذا حاول أن يتعافى يفاجأ بضربة فراق ثانية تفقده توازنه ليهوى مرة أخرى حتى شعر في النهاية أنه لا يقوى حتى على أن ينبض ، فلماذا يكرر أخطاءه ... ليكن الفرار ، ولا شيء غيره ...

أسرعت مرام الخطى لتعود إلى منزلها ، وتحتمي بجدرانه ، وما أن دلفت من بوابة قصرها حتى فوجئت بما أفقدها توازنها ، وجعلها تصرخ فزعة لقد رأت سيارتها ، وقد تحطمت ، والحديقة تملؤها مخلفات البناء،

وأغلب نوافذ القصر قد كسرت ، وعبارات التهديد مكتوبة على جدران المنزل ... تملك الفزع من مرام ، وغلبها البكاء ، لكن سرعان ما كفكفت دموعها ، واستجمعت شجاعتها لتصب نيران غضبها على وليد الذي فوجئ باتصالها ...

كانت مرام تتحدث بقوة ، وحدة ، وبنبرات صوت يملؤها الغضب، فكانت أشبه بهدير الرعد أو تراها كانت طلقات مدافع تنطلق من بين شفتيها لتصيب وليد في مقتل .

-وليد إنت شخص مخادع ، وحقير ، وحا تشوف أنا حا أعمل فيك إيه ... والله لتندم على اليوم إللي أتولدت فيه عشان تعرف يعني إيه تتكلم زي الأفاعي ، وإنت ناوي على كل الشر ده ... إنت إيه ... فيه حد شيطان زيك ؟!

أغلقت مرام هاتفها بحدة ، وانهارت فوق أحد الكراسي في الحديقة، وضعت رأسها بين راحتيها ، وانفجرت في بكاء حار ... لحظات ، وأحست مرام بيد تمسك يدها ، وترفعها من على وجهها ... تملك مرام الفزع برهة ، ثم تمالكت نفسها ، وأبعدت يدها عن وليد ... جلس وليد على المقعد المواجه لمرام ، ونظر لها باستعطاف ، ثم زفر زفرة ألم .

- من المؤكد إني لو أقسمت لك بأغلظ الإيمان إني بريء من كل إللي حصل لا يمكن تصدقيني ، وطبعًا معك حق .

نظرت له مرام بغضب ، والاتهامات تنطلق من عينيها ، فاستكمل وليد حديثه

- معك حق في أي اتهام ، لكن أنا مش حا أخلف وعدي ليكي مهما

حصل ... انتظري ، وحا تشوفي .

أمسك وليد بهاتفه المحمول ، واتصل بفهمي السعيد ، وأخبره بما يقوم ابنه به من أعمال تسئ للشركة ، واستطرد في حديثه

– وبعدين صاحبة القصر دي مش شخصية عادية دي من أعرق الأسر في الإسكندرية ، وممكن بسهولة تهد الدنيا علينا ، وأنا وصلني تهديد مباشر منها من إنها صورت كل حاجة ، وحا تنشرها على النت كمان هي جمعت معلومات كتير عن علاقة الشركة بالنظام السابق ، وأظن دي حاجات نشرها مش ظريف .

كانت مرام تتابع وليد ، وهي مندهشة مما يفعله ، ومما يقوله ، وبعد انتهاء المكالمة التي استخدم فيها وليد كل أساليب الترهيب .... وجه وليد كلامه مباشرة إلى مرام

– لحظات ، وكل حاجة تتصلح ... تعرفي المرة إللي فاتت المرة دي أسرع يعني مش حا تلحقي تعملي الشاي .

ردت عليه مرام بغضب طفولي

– مش حا أعمل شاي ، ولا أي حاجة ، وبعدين ما يمكن تكون عامل لعبة مع فهمي بتاعك ده .

ابتسم وليد لطفلته الصغيرة ، وغادر الحديقة مسرعًا ثم عاد بعد لحظات، ومعه طاقم كبير من العمال الذين كانوا ينهون تجهيزات الفندق، وفي لمح البصر كان الجميع قد بدءوا في إعادة كل شيء إلى ما كان عليه.

تركتهم مرام ، وجلست في بهو القصر تفكر في أمر وليد ، وكم حيرها أمره هل يمكن تصديق أن نائب رئيس مجلس إدارة شركة عملاقة لم

يكن على علم بما يحدث ، أم أن ما يقوم به مجرد تمثيلية الهدف منها هو الحصول على القصر بأي وسيلة؟ تعبت مرام من التفكير ، فوضعت رأسها بين راحتيها ، ولحظات ووجدت وليد واقفًا أمامها في البهو ، فهي لم تكن قد أغلقت باب البيت ..

نظر وليد لمرام بعطف ، وحنان ، وطوقها بنظراته

– مرام، بعد إذنك ممكن نشوف الشبابيك المكسورة .

نظرت له مرام بحدة

– إنت بتعمل كده ليه ؟!

نظر لها وليد مستفسرًا

– يعني إنت كده ضد مصلحة شركتك ، ومع ذلك واقف جنبي .

رد عليه وليد بحدة

– أنا ضد البلطجة ، وسبق ، وقلت لك إني فاهم موقفك كويس يبقى إيه الغريب وبيخليك محتارة ... ممكن بقى ننهي المهزلة دي .

نظرت له مرام في ارتياب

– مش عارفة ليه حاسة إنك متحمس أزيد من اللازم ، وشكلك زي ما يكون فرحان بإللي بيحصل .

– مش فاهم .

– يعني إنت نائب رئيس مجلس إدارة شركة عملاقة مش معقول تقف على إيد العمال بنفسك .

ابتسم لها وليد

- يعني أمشي ..
- على كيفك .
- رايح أجيب العمال عشان يصلحوا الشبابيك المكسورة .

أوصلت مرام العمال إلى الحجرات المكسور نوافذها، ثم تركتهم ليقوموا بعملهم ، لكن وليد ظل معهم في كل خطوة ... كان سعيدًا ، وهو يرى حجرات القصر ، وكانت كلمات البدال العجوز عن القصر ترن في أذنيه وهو يدلف إلى حجراته ، لكنه كان يدعو الله ألا يرى حجرة مرام، فهو لا يتحمل أن يرى تلك الحجرة ، ويتخيل شخصًا آخر يشارك مرام فيها ..

« آه هذا الملعون! ... لقد تأخر الوقت ، وهو بالتأكيد يعلم ما حل بمرام، ولم يأت بعد ... من المؤكد أنه مسافر ..ربما كان على خلاف مع مرام ، ولم تخبره بشيء ، أو عله شخص أناني لا يلتفت لمشاكل مرام ، ويكرس كل وقته لعمله ... يا ألله! كم أتطلع لمقابلة هذا الوغد حتى أفتك به ... آه وكم أكره رؤيته ، وأدعو الله ألا يأتي هذه الليلة .»

ولحسن حظ وليد كما كان يظن ، فلم تنكسر النوافذ في حجرة مرام... رغم شعور وليد بالارتياح من أنه لن يضطر لرؤية حجرة مرام ، فقد كان لديه رغبة متأججة في أن يرى كل شيء متعلق بها ... حاول وليد التغلب على مشاعره المتداخلة بأن ترك العمال يواصلون عملهم ، واتجه للبهو ليلحق بمرام .

لم يجد وليد مرام في البهو ، فبحث عنها في كل أرجاء القصر ... كان يتجول بحرية في البيت ، وكأنه البيت الذي نشأ فيه ... كان وليد يتجول ،

وهو يشعر براحة غريبة ، وملأته السعادة ، وكأنه عاد طفلًا صغيرًا يمرح في بيت جدته ... رسمت السعادة كل خطوطها على وجه وليد الذي عرف الإشراق لأول مرة منذ سنوات طويلة ، وازداد وجهه إشراقًا عندما وجد مرام في المطبخ تعد طعام العشاء للعمال ... نظرت مرام لوليد بعناد الأطفال

– أنا محضرة الأكل للعمال ، والشاي كمان لهم ، لكن رؤساء مجالس الإدارة ما لهمش مكان .

وبسرعة تذوق وليد الطعام ، وهو يضحك

– الحمد لله، أنا نائب رئيس مجلس إدارة فقط يعني ممكن يكون لي مكان .

– بشرط إنك إنت إللي تعمل الشاي .

رد وليد عليها مبتسمًا

– والأكل كمان، أنا شاطر جدًا في شغل المطبخ ، وأحسن من أي ست بيت .

– يا سلام !

– فعلًا ، بعد ماما عشت مع جدتي سنتين ، وكانت تحب شغل المطبخ... وقتها ما كنتش بفارقها .

– كنت خايف لتروح منك هي كمان .

أومأ وليد رأسه بالإيجاب

– واضح إن حالك مثل حالي ، وماما هي إللي ماتت الأول .

-فعلًا ، هي كانت أول واحدة ، والباقي تساقط بعد كده كأوراق الشجر.

تلاقت عينا وليد بعيني مرام ، والدموع تملؤهن ، فحاولت مرام تغيير مجرى الحديث ، ورسمت الابتسامة على وجهها .

- وبعدين .

- أبدًا بعد جدتي دخلت هندسة الإسكندرية ، وعشت هنا في شقة لوحدي ، وكنت أطبخ لنفسي ولحد دلوقتي كتير أدخل المطبخ، طبيعي ما أنا لسه عايش لوحدي .

- بالمناسبة هو بابا فين ؟

رد وليد بضيق

- مع مراته وابنها عايشين في القاهرة .

ابتسمت له مرام بحنان ، وحاولت تغيير الموضوع

- يعني إنت يا ابن القاهرة وقعت في عرض الإسكندرية عشان تنعم عليك بالشهادة

- يا ربي إيه التعصب ده يا أهل الإسكندرية شوية تواضع .... وعلى فكرة أنا كان ممكن أدخل هندسة القاهرة بسهولة لكن ...

أكملت مرام كلامه بأسلوب أقرب إلى الهزل

- حكاية سندريلا لكن رجالي المرة دي .

ابتسم وليد لها

- الشاي خلص ... أي أوامر تانية .

- خد الشاي للعمال ، وأنا وراك بالأكل .

نظر لها وليد بحزم

- الأميرة مرام تتفضل في البهو ، وأنا حا أتولى موضوع العمال .

أذعنت مرام لأوامر وليد.... لحظات ووجدت وليد يقدم لها الشاي، والطعام .

- ياه! أنا كمان .

- طبعًا يا أميرتي عشان يبقى عيش ، وملح .

- إيه موضوع الأميرة ده ؟!

- مش الكل بيدلعك كده .

امتلأت عينا مرام بالأسئلة ، لكن وليد لم يكن لديه أي إجابة ، فقد جال بذهنه خاطر بأن زوج مرام سيأتي في أي وقت ... انقبض قلب وليد ، وأخفى غله في التهام الطعام ... حاولت مرام مشاكسته .

- واضح إنك عارف حاجات كتيرة عني كل ده عشان صفقة البيت؟!

نظر لها وليد بعتاب ، لكن ماذا يقول لها ، وهي امرأة متزوجة ؟!... لم يجد وليد مفرًّا من التأكيد على أن كل ما يفعله معها سببه الوحيد هو صفقة القصر ، وما أدت إليه من أفعال حمقاء كان على الشركة معالجتها .

كانت مرام تنظر إليه مكذبة حديثه المرتبك ، وكلامه المتلعثم ... فر وليد من نظرات مرام الفاضحة، واستأذن ليتابع العمال ، وبسرعة فائقة أنهى العمال كل شيء ، ولم يبق غير إصلاح السيارة التي أصرت مرام على أن تتولى هي عملية الإصلاح ... ودعها وليد وخرج من القصر بخطوات بطيئة مترددة ، وكأنه طفل رضيع انتزع من أحضان أمه ليلقى به في الشارع

في ليلة حالكة السواد ، والهواء البارد يعصف بكل شيء ...

امتلأت عينا وليد بالدموع ، وظل ساهدًا طوال الليل يتقلب في فراشه... كان وليد يشعر بوالدته ، وكأنها تجلس بجواره تداعب خصلات شعره ، وتربط على كتفه ، ويرن صوتها في أذنيه تبارك خطاه مع مرام ...

هب وليد من فراشه مفزوعًا ، واتجه إلى شرفته ينتظر قدوم الشمس... كانت مرام هي الأخرى تستعد للقاء الشمس في موعدها المعتاد ، وكلمات وليد تتردد في أذنيها ، وترتسم أمامها صورته ، وهو يتكلم مع العمال ، ويلقي الأوامر عليهم... وهو يقف في البهو ... وهو يدلف إلى حجرات القصر ... وهو يقف معها في المطبخ ... كانت صورة وليد في الليلة السابقة تتكرر أمامها ، وكأنها فيلم سينمائي يعاد بلا توقف ..لم تشعر مرام بالضجر أو الحرج بل على العكس ظلت تفكر فيما ستقوله لوليد عندما يقابلها مع شروق الشمس ، وكم سخرت من نفسها لثقتها الزائدة من أنها ستقابل وليد مع شروق الشمس ، وكأنهما على موعد مع الشمس ،والأماني ...

صدق حدس مرام ،فعندما وصلت إلى الشاطئ وجدت وليد واقفًا هناك يقذف بعملة الأماني ... نظرت له مرام ضاحكة ..

-مرحبًا بك في نادي الأمنيات .

نظر لها وليد بعينين كلهما حب ... شعرت مرام بالخجل من نظرات وليد ، فحاولت الفرار، وأطرقت رأسها ، ونظرت إلى الأرض ... وجم وليد من رد فعلها ، وأحس أن مرام تبعث له برسالة خاصة جدًا تطلب منه البعد عنها ، لكن أحقًّا يستحق زوجها امرأة مثلها ؟! لم يدر وليد كيف

خرجت الكلمات من فمه

– صدقيني هو ما يستحقش واحدة زيك .

وجمت مرام ، ووقفت صامتة لا تفهم شيئًا ... اقترب وليد منها ، وحدثها بصوت خافت

– هو في نعمة مش مقدرها ، والدليل إنه اتأخر إمبارح مع إنه من المفترض إن يكون جنبك .

ارتسمت كل علامات الحيرة على وجه مرام ، وأخيرًا استطاعت أن تتكلم ، فسألته بدهشة

– إنت بتتكلم عن مين ؟

أجابها وليد بصوت يملأه الحقد .

– حا يكون مين ... جوزك الغائب دائمًا .

رسمت الدهشة لوحتها على وجه مرام ، وردت عليه بجيرة

– جوزي مين ؟!

اندهش وليد من رد مرام التي واصلت حديثها

– أنا مش متجوزة .

صعق وليد من رد مرام ، وتحدث بحدة

– لكن، أنا كنت بناديك مدام .

– إيه المشكلة ؟!....عادي .

ثم ابتسمت برقة

– يعني كنت عايزني أقولك زي ماري منيب في مسرحية إلا خمسة

مودموذيل يا بغلة ؟!

تحول وليد إلى كتلة من الغضب اختفت كل ملامحه أمام الشرار المندفع من عينيه ، والذي كان كافيًا لتحويل البحر كله إلى بركان ثائر يقذف بحممه في كل اتجاه ... انتفضت مرام من شكل وليد ، وأحست بالدماء تتجمد في عروقها من الخوف ، فخرجت كلمات الأسف من بين شفتيها علها تجد فيها درعًا حاميًا من نيران غضب وليد .

– آسفة ...فعلًا ، كان تعليقًا سخيفًا .

أطلق وليد صرخة قوية

– آسفة !! إنت فاكرة الموضوع بسيط كده .

ردت عليه مرام بصوت يرتعد من الخوف

– فيه إيه يا وليد ؟!

أصبح وليد بركانًا ثائرًا تنطلق منه الألسنة النارية في كل اتجاه ، وهو يسير أمام مرام في مساحة قصيرة ذهابًا ، وإيابًا واضعًا إحدى يديه على خصره ، والأخرى كان يرفع بها شعره بعصبية ، وهو يردد بعنف

– مش متجوزة .... مش متجوزة ....إنت كدبت عليا الفترة دي كلها وفي الآخر طلعتي مش متجوزة.

تحولت دهشة مرام إلى غضب ، وتحدثت بعصبية

– إنت إزاي تتكلم معايا بالطريقة دي، إيه إللي بتقوله ده أنا كدبت عليك في إيه ؟! وإيه المشكلة في إني مش متجوزة ؟!

فوجئت مرام بوليد يمسك ذراعيها بعنف ، ويصيح فيها

– إنت مش عارفة إنت عملتي إيه ... إزاي تكوني بالقسوة دي .. إزاي تخليني أعتقد إنك متجوزة ؟!

تخلصت مرام من قبضة يدي وليد ، وهي تصرح فيه

– إنت مجنون ... إنت شخص مش طبيعي ، وأنا آسفة إني عرفت واحد زيك .

تركته مرام ، والغضب يسيطر عليها ، وأوصالها ترتجف من شدة انفعالها ... كان وليد هو الأخر يتملكه الغضب ، ووقف أمام البحر ، وهو يرتجف ، ويلهث ... تنفس بقوة عله يستطيع أن يقذف بكل غضبه في البحر ، لكنه ظل يردد بعصبية

– مش متجوزة ... مش متجوزة .

ثم انفجر في الضحك ...

في المساء تلقت مرام باقة من الزهور مرفق بها بطاقة مكتوب عليها

« آنسة مرام ... آسف ... وليد الحسيني . »

ضمت مرام الباقة إلى صدرها ، وملأتها سعادة من نوع خاص جدًا.

(٦)

لم تذهب مرام إلى الشاطئ يومين متتاليين مرا على وليد ، وكأنهما سنوات طوال كان في كل صباح ينتظر أن تشرق شمسه ، لكنه لا يجد غير الغيوم تسيطر على المكان فيزداد شعوره بالخوف، والفزع .

« أيمكن ألا أرى مرام مرة أخرى ؟! إنها شخصية قاسية أخلفت موعدها مع الشمس ، فماذا عن موعدها معي هل ستلتزم به ؟! ... وهل كان لها موعد معي ؟! أهو الرفض لا محالة إنها ترفضني ، وهذه هي رسالتها لي ، لكن أي رفض هذا أنا لم أعرض عليها شيئًا ؟!.... يا لبلاهتي! أتوجد امرأة لا تعرف من يحبها ؟! من المؤكد أنها فهمت مشاعري تجاهها ... لا ... لا لم أكن واضحًا بمثل هذا الشكل ... يا لبلاهتي! لقد كدت أن أعترف لها صراحة بكل مشاعري تجاهها ... ألا يكفي وقوفي بجوارها ؟! لكنها لم تذهب إلى الشاطئ ، فهي ترفضني بلا شك لماذا ؟ ماذا حدث ؟ ولماذا كانت تتعامل معي من البداية بمثل هذا الأسلوب ؟! أجل ... أجل من المؤكد أن موضوع البيت كان هو السبب ، وعندما انتهى أمره لم يعد لي فائدة فألقت بي في أول سلة مهملات ... امرأة!! هكذا هن النساء لا يعرفن الرجال إلا من أجل المنفعة المادية فقط . «

جال بخاطره صورة الحيات الثلاثة كما يحب أن يطلق على زوجة

والده، وزوجة خاله ، وخالته... تلك الحيات كن لا يسألن عنه إلا لغرض معين أو لمصلحة شخصية لهن ، وغير ذلك كانت كل واحدة ترسم الخطط لإبعاده عنها ، وعن بيتها ...يا لها من ذكريات مؤلمة! كم أتعبت وليد ، وكم تعب وليد من ملاحقة تلك الذكريات له ، لكن أيمكن أن تكون مرام مثل هؤلاء الحيات ؟!

لم يصدق وليد عقله خاصة أن قلبه كان شديد القلق عليها ... أسرع وليد ليطوف حول بيت مرام عله يراها ، ولو مصادفة ... كان وليد يقف خارج منزل مرام ، وهي داخل البيت راقدة في فراشها تتألم من المرض الذي فاجأها في اليوم التالي من لقائها مع وليد ...فعندما وصلتها باقة الزهور ظلت تحتضنها ، وهي جالسة في شرفة حجرتها ، ويمر في مخيلتها شريط طويل من الذكريات... كانت تتذكر أفراد أسرتها ، وتدليلهم إياها، وباقات الزهور التي كانت تتلقاها في كل المناسبات ... رجعت مرام برأسها للخلف ، وأغمضت عينيها ..

« آه يا وليد! كيف عرفت حبي للزهور أم تراك أردت الاعتذار بأسلوب رسمي ؟! ما هذا الهراء أي أسلوب رسمي أتحدث عنه ؟!»

ابتسمت مرام ، وهي تتذكر ثورة وليد عليها عندما علم بأنها غير متزوجة ... قربت مرام باقة الزهور من وجهها ، وأخذت تتأمل أزهارها، وهي تتذكر كل ما فعله وليد معها ... كان الهواء تزداد برودته ، والرياح تزداد سرعتها ، ومرام لم تنتبه إلى أنها ترتدي ملابس خفيفة ، فوقعت فريسة المرض .

كانت الآلام العضوية لمرام أقل بكثير من آلامها النفسية ، فقد تجمعت

كل الشجون في قلبها ، وهي تجد نفسها تعاني من نزلة برد شديدة ، وتجلس في حجرتها وحيدة اغرورقت عينا مرام بالدموع ، وهي تتذكر كيف كان حال البيت عندما كانت تسعل ولو لمرة واحة ... فكيف هي الآن ، وكيف وصلت إلى هذا الحال ؟!

حاولت مرام التحامل على نفسها ، ومغادرة فراشها الذي كان أشبه بفراش من الأشواك ، لكنها عادت ، واستسلمت لدموعها التي ضاعفت من حدة آلامها ، فظلت طريحة الفراش تتناول بعض الأدوية المسكنة .

كان طعم الحساء الذي كانت تقدمه لها أمها مازال في فمها ، فنفرت من الطعام ، ولم تتناول منه أي شيء مما أضعف من مقاومتها ، فشعرت بالدوار ، وغفلت للحظات أو تراها فقدت وعيها لتجد كل أفراد أسرتها ملتفين حولها يدعونها لمقاومة المرض ، وأن تنهض فهم معها دائمًا ، والشيء الوحيد الذي يسعدهم هو أن تكون في أحسن حال ، ومن بعيد سمعت صوت جدها محمود يحدثها بحدة

-أنت آخر سلالة الحناوي ، والمفروض إنك تخلدين اسم العائلة بعمل عظيم ، فلا تستسلمي للضعف، والمرض .

نفذت مرام كل أوامر جدها ، واتبعت كل التعليمات المعروفة للقضاء على نزلات البرد ، لكن كان هناك خيط رفيع من الحزن يتغلغل في قلبها..

« لماذا لم يتصل وليد؟... حقًّا لم يكن بيني ، وبين وليد شيء خاص لا .. لا يمكن أن أكون واهمة ، وكل ما كان بيننا مجرد موضوع شراء البيت ... لا ...لا...إنني واثقة من أنه كان يذهب للشاطئ من أجل أن

يراني ... فلماذا يا وليد ؟! عندما أخلفت موعدي مع الشمس تقبلت الأمر ببساطة... أتراك أنت الآخر أخلفت موعدك مع الشمس أم أن هناك من شغلك عن موعدك مع الشمس كانت حيرة مرام تزداد مع كل مرة تشرق فيها الشمس أو تغرب حتى تأكدت في النهاية من أن وليد قد ترك الشمس، وعاد إلى القاهرة، وكل ما كان مجرد وهم جميل عاشته مرام، لكن الحقيقة الوحيدة التي عليها مواجهتها دائمًا هي الفراق ... الفراق، ولا شيء غيره، فهو قدرها مع كل من تحبهم أو تتعلق بهم .

كان لهذا الخاطر وقع الصاعقة ليس لأنها تأكدت من ابتعاد وليد عنها نهائيًا، ولكن لأنها وضعته في مرتبة من تحبهم .

« ما هذا الهراء؟... شخص قابلته مصادفة في حياتي، وانتهى الأمر لماذا أحمل الأمور أكثر من معناها؟... هل عدت فتاة مراهقة تسعد لأن شخصًا عاملها بلطف؟ وتنسج القصص الخيالية حول هذا اللقاء، ثم منذ متى وأنا أهتم بمعاملة أي رجل لي سواء كانت طيبة أو غير ذلك، فما هو إلا شخص عابر في حياتي لن أحتفظ بحكايته معي في دفتر ذكرياتي؟».

وكأن هناك اتصالاً خفيًّا بين مرام، ووليد، فما أن أصدرت قرارها بطرد وليد من حياتها حتى خفق قلب وليد بشدة، وشعر أن هناك خطر داهم يهدد علاقته مع مرام، ودون تفكير اتصل وليد بمرام، وما أن سمع صوتها حتى عرف أنها مريضة، فارتجف صوته هلعًا

- مرام إنت عيانة ؟

- شوية برد بسيط .

أشتد قلق وليد

- لا... مش بسيط ، ولو سمحت بلاش إهمال .

- إهمال!! إنت...

قاطعها وليد بحزم

- مرام سلام مؤقت .

وفي أقل من خمس دقائق كانت هناك دقات هلعة على باب منزل مرام ... كان القادم تعرفه جيدًا بل كانت واثقة من أنه سيأتي ، فقلبها لم يكذبها قط ... وها هو وليد أمامها ، والهلع يمزق قلبه ، والدموع تملأ مقلتيه ...استقبلت مرام وليد بحفاوة لتهدأ من روعه ، لكن ظلت أوصاله ترتجف... مدت مرام يدها لتصافحه ، فضمها براحتيه .

- طمنيني عاملة إيه ؟

ابتسمت له مرام ، وهي تسحب يدها من بين راحتيه

- الموضوع بسيط شوية برد ، وأنا نفذت كل التعليمات .. راحة تامة لمدة يومين ، وبكرة إن شاء الله أخف .

رد عليها وليد بهلع

- لا ... يعني إن شاء الله تخفي ، لكن المهم إنك تستريحي لحد ما تخفي خالص ، وبعدين رحتي للدكتور ... طب أجيب لك دوا ، ولا أعمل لك حاجة سخنة إنت كلتي ولا ...

قاطعته مرام ضاحكة

- بالراحة يا وليد ... أولا إتفضل .

انتبه وليد بأنه مازال واقفًا أمام باب مرام ، فدلف إلى المنزل بخطوات

مرتبكة

- مرام، إنت بخير طب تحبي ...

قاطعته مرام

- وليد، إتفضل أقعد على الكرسي الكبير إللي بتحبه ... وبعدين نتكلم براحتنا .

رد عليها وليد متعجبًا

- إنت عارفة إني بحب الكرسي ده إزاي ؟!

- من أول مرة جيت البيت حاسيت إنك...

لم تستطع مرام إكمال كلامها أمام نظرات وليد التي كانت تعانقها بحب ، وحنان ... أشار وليد لها بأن تجلس لترتاح ، وجلس هو على المقعد الكبير كعادته .. ظل وليد ، ومرام صامتين برهة ، ثم قطع وليد حبل الصمت

- آه ...فعلًا أنا من أول مرة دخلت البيت حا سيت براحة غريبة .

ابتسم وليد

-وقتها حصل لي لخبطة ، وما عرفتش ده بيتك ، ولا بيت جدتي القديم.

نظرت له مرام بغضب طفولي

-جدتك !! يعني أنا زي جدتك .

أطلق وليد ضحكة صافية ، لكن سرعان ما تحول إلى حالة غريبة من الوجوم ، وانقبض قلبه ، وهو يتفحص مرام ، وعلامات المرض تعلو

وجهها ... ازدادت دقات قلب وليد ، وعلا صوت أنفاسه ، ودون أن يدري خرجت الكلمات من فمه

- أنا السبب ...أنا السبب .

تعجبت مرام مما قاله

- وليد إنت السبب في إيه ؟

وباندفاع وحدة رد عليها وليد

- في مرضك ... أنا السبب ... أنا عارف أنا دايمًا السبب في مرض كل إللي حوليا ... حتى أصحابي أنا كنت السبب في مرضهم و...

ابتلع وليد دموعه ، ولم يستطع مواصلة حديثه

فابتسمت له مرام ساخرة

- ليه هو إنت فيروس الجمرة الخبيثة ... إنت ليه بتظلم نفسك ؟ وبعدين أنا عندي برد يعني أفهم لو كنت حضرتك السيد انفلونزا تبقى إنت السبب ، لكن إنت مجرد نائب رئيس مجلس إدارة شركة إنشاءات يعني بالكتير تبقى السبب في رمي الزبالة في جنينة بيتي .

ابتسم لها وليد

- إنت إنسانة عظيمة ... إنت ...

قاطعته مرام

- دي حاجة معروفة إيه الجديد ؟!

امتلأ وجه وليد بالابتسام

- إيه التواضع ده !!

- بعض ما عندكم .

- ليه هو أنا مرام عشان أبقى مغرور .

نظرت له مرام بمكر

- ليه هو أنا فاكرة نفسي السبب في كل كوارث البشرية ... ولا ما أكون مخترعة القنبلة الذرية ، ولا أسلحة الدمار الشامل .

رجع وليد برأسه للخلف ، وكأنه يستعيد ذكريات كثيرة مضت

- كنت السبب في مرض ماما وانتشار المرض .

- ليه ؟!

- كنت محور اهتمامها ، وكانت ما بتفكرش في حاجة غيري ، فأهملت في صحتها ... عشان كده اكتشفت إنها مصابة بالورم بعد انتشاره .

- يا سلام ما كل يوم كام واحد بيموت بالمرض ده ، ولا هو أبوك ، ولا أمك اللهم إلا لو كنت استوردت نفايات نووية ودفنتها في بيتكم .

- طب وجدتي .

- أم انقهرت على بنتها حاجة على الكتاب ... وبعدين ما ده حصل معايا ... أنا كمان ماما ماتت من الورم ، وكل العيلة ماتت من الحزن عليها... وقتها كنت أنا السبب .

رد عليها وليد بفزع

- لا... لا يمكن ... استحالة تكوني إنت السبب ... إنت السبب في سعادة كل إللي حواليكي ... لكن أنا واثق من إني السبب في إللي حصل لك ... أنا زعلتك .

– زعلتيني يبقى ضغطي يرتفع ممكن ينخفض ... يجيلي القولون... المرارة لكن ده برد ... وبعدين إنت ليه شايف نفسك مهم لدرجة إن مرضي تكون إنت السبب فيه مش يمكن فيه حد تاني ..

نظر لها وليد بحدة

– مين ده ؟!

ابتسمت له مرام

– جوزي الرجل الخفي .

أطلق وليد ، ومرام ضحكة صافية ، لكن سرعان ما تحول ضحكات مرام إلى سعال رغم إنه كان خفيفًا ، ولم يستمر لفترة طويلة ، لكنه كان كافيًا لإدخال الفزع لقلب وليد ، فنظر لمرام بأسى ... ردت مرام على نظراته بعتاب

– بالله عليك كفاية.... الموضوع بسيط ، وأنا بكرة حا أبقى في أحسن حال .

نظر لها وليد بعطف

– بالله عليك خلى بالك من نفسك ... الجو برد ، فخلي دايمًا معاك جاكيت ، ولا شال ، واشربي حاجات سخنة كتير ... فيه حد يعملها لك ، ولا تحبي أبعتها لك من الفندق .

– ليه، هو اشتغل ؟

– يشتغل يا مولاتي هو فيه أهم من الأميرة مرام ؟

ابتسمت مرام ابتسامة صافية

- والله باين رئيس مجلس الإدارة مش حا ينسى لك موقفك ضد مصالح الشركة .

ابتسم لها وليد ، وودعها ، ثم غادر المنزل بعد أن أصر على ألا تبرح مرام مكانها ، فهو يعرف طريقه جيدًا... سار وليد في الشوارع ، وهو فارد ذراعيه يكاد أن يعانق كل من حوله ... كانت عيناه مسرحًا للدموع ، والابتسامات معًا ، وقلبه يعزف لأول مرة لحنًا من السعادة .

« أحقًّا ما يحدث لي ، وهل قابلت الجنية الطيبة التي ستحقق لي كل الأمنيات ... أم إنني أعيش في حلم جميل سرعان ما سأفيق منه ؟! ليكن ... ليكن حلمًا جميلًا ، فمتى كانت أحلامي جميلة ... كانت كلها كوابيس ... آه يا الله ... أحمدك يا رب لقد أعدت لي أمي ، وجدتي ، وكل حياتي .»

انقبض قلب وليد عندما تذكر والدته ، وجدته ، وكيف كان يدعو الله دائمًا بأن يحفظهما له ، لكنه ابن ملعون ... ملعون ... جاء إلى الدنيا ليجلب الحزن لمن حوله ، ورنت في أذنيه كلمات خالته بعد وفاة جدته

« الواد ده منحوس كل ما يعيش في بيت يتخرب .»

ألهذا السبب خافت من أن تستضيفه في بيتها حتى ، ولو لفترة قصيرة، وكيف ووالده مازال على قيد الحياة « أبوه أولى بيه « لكن ربما كان والده مثل الباقين يخشى من «نحسه « .... فلماذا يتقرب من مرام .... لماذا يحيطها بحبه ؟!

كان لكلمة حبه وقع الصاعقة على وليد ، فبدأ قلبه يرتجف بقوة ، وظل يؤنب نفسه

« أتكون هي سبب سعادتي ، وأصيبها بلعنة حبي ... أنا أعرف نفسي لعنة على كل من أحببتهم ، وأحبوني حتى أصدقائي ... عاطف كان أقرب شخص لي ، لكن القدر أخذه مني ... لا... لا يمكن أن أفعل ذلك بمرام... لا يمكن أن أحبها ، وأجعلها تحبني ... لا يمكن ... لأدفن حبها في قلبي، لكن ماذا لو كان كلام مرام صحيحًا ، وكل ما اعتقدته مجرد وهم كأمر زواجها ... يا ربي ساعدني هل أغامر ، واعرضها للخطر أم ...أم ماذا أفعل؟!... وهل أملك أن أفعل أي شيء غير البقاء بجوارها .»

ظل وليد في حيرة من أمره لا يدري ماذا يفعل ، لكنه قبل أن يستسلم للنوم وجد نفسه يتصل بمرام ليطمئن عليها ... شعرت مرام بسعادة غامرة، وهي تري رقم هاتف وليد ، فها هو يهتم بأمرها

– وليد ... خير نسيت حاجة ؟!

ارتبك وليد قليلا

– أبدًا حبيت أقولك تصبحي على خير .

– وإنت من أهله .

أغلقت مرام هاتفها ، وظلت ممسكة به بين راحتيها ، والابتسامة لا تفارق وجهها شعرت وقتها بكل أفراد أسرتها يحيطون بها ، ويسألونها عن قصة وليد معها ... الكل في شغف ليعرف ماذا من أمر وليد ، وأمرها... اشتعل وجهها بحمرة الخجل ، وحاولت أن تداري خجلها بالابتسام، وهمست

« لا أدري ....لا أدري .»

أخذت مرام دميتها المحببة لها بين ذراعيها ، وأغلقت عينيها حتى لا

ترى غير وجه وليد الذي ظل معها تشعر بوجوده بجوارها حتى راحت في سبات عميق ، وفي أحلامها رأت كل أفراد أسرتها يناقشونها في أمر وليد، وماذا يجب أن تفعله معه ، وما بين مبارك لخطاها ، ومعارض لاندفاعها قضت مرام ليلتها ...

أشرقت الشمس ، ومرام ، ووليد على الشاطئ يقذفان بعملتي الأماني... كان وليد تتصارع الأفكار في رأسه ، ولم يجد وسيلة للفرار من هذا الصراع غير أن يبوح لمرام بكل ما يضيق به صدره ، فدعاها للجلوس بجواره على الشاطئ ، وسألها مباشرة

-فعلًا إللي قلتيه إمبارح عن موت أمي ، وجدتي .

نظرت له مرام بحدة

-إنت مؤمن بالله ولا حاجة تانية ... وبعدين عيب مهندس كبير زيك يصدق في الكلام الفارغ ده ... سبت إيه للناس الجهلة .

- لكن ...

قاطعته مرام بحدة

- يعني بالطريقة دي بدل ما تبني فنادق كبيرة على أحدث الطرز أحسن تعمل كهوف ما إنت عقلك بيصدق في خرافات العصر الحجري .

نظر لها وليد معاتبًا ، فردت عليه

- أنا عارفة إن صراحتي ساعات تبقى زايدة لكن دي الحقيقة .

رد عليها وليد مبتسمًا

- أولًا دي وقاحة ، وبعدين أنا غلطان إني قلقت عليكي ، ومرضك فكرني بجدتي .

ردت عليه مرام بحدة مصطنعة يغلفها الضحك

- اسكت خالص أنا جدتك .

- لا معقول ..إنت أم جدتي .

أطلق وليد ضحكة صافية ثم صمت ، وظل يتأمل مرام ، وهي تجلس بجواره ، ونسمات الهواء تداعب خصلات شعرها فتأتي بها على وجهها تارة ، وتطير بها بعيدًا تارة أخرى ، فغار وليد من الهواء ، ونسماته

- الجو برد نقوم أحسن .

أذعنت مرام له ، وهمت بمغادرة المكان ... مد لها وليد يده مصافحًا وهو يردد

- أشكرك ... أشكرك .

حاولت مرام ترك يد وليد ، لكنه لم يترك يدها بل رفعها ناحية فمه ، وقبلها بكل الحب ، والشوق للحياة التي حرم منها ....

(٧)

أحسَّت مرام أن القدر يمنحها فرصة أخرى للحياة الجديدة بكل ما تحمله الكلمة من معاني... خاصة أن تجهيزات إنشاء مكتبها الجديد كانت تسير بسرعة ، ودون أي تعقيدات ، وفي نفس الوقت وجدت الأصدقاء يمدون لها يد المساعدة ، لكن كان السبب الحقيقي لسعادتها هو تلك المشاعر التي غزت قلبها ...

« أحقًّا ستستمر هذه المشاعر أم أن الفراق سيظل يلاحقني دائمًا؟.. لماذا أشغل نفسي بمخاوف قد تتحقق أو لا تتحقق لأعيش يومي كما أحب؟ والغد أتركه للغد ... لماذا أتعجل الآلام لأضيع سعادة الحاضر؟».

أقنعت مرام نفسها بضرورة أن تستمع بكل ما في يومها من لحظات جميلة ، وأغرقت نفسها في العمل ، لكنها كانت تستعجل الساعات ليحل الغروب مدعية أمام نفسها أنها تتعجل موعدها مع الشمس ، لكنها لم تستطع أن تكذب على قلبها الذي كان يتعجل لقاء وليد .

« هل ينتظر وليد حتى موعد الغروب ؟! لماذا لا يتصل بي ؟! ليقل أي شيء أو حتى يدعي أنه اتصل خطأ ، فأنا أفتقده وأشتاق لسماع صوته .»

أمسكت مرام بهاتفها ، وعبثت به عل وليد يكون قد اتصل بها ، وهي لم تسمع رنين الهاتف ، وعندما وجدته لم يتصل تملكها الغضب ، وكادت

أن تتصل به لتتشاجر معه على أي شيء ... لحظات ورن هاتفها ، وكان وليد ... طار قلب مرام من الفرح ، لكنها انتظرت قليلًا حتى تهدأ ، ثم رد على هاتفها باتزان مصطنع .

- ألو .... وليد .

كان وليد يحدثها ، وهو يقود سيارته ، ورأسه بها آلاف الموضوعات الخاصة بالعمل ، فبدا صوته جادًا ، وكان حديثه مقتضبًا ، وكأنه يلقى عليها بيانًا

- أنا مضطر ارجع للقاهرة عشان ظروف العمل ، ومش عارف أمتى حا أخلص شغل ... عمومًا لو حصل أي مشكلة اتصلوا فورًا ، وأنا حا أكون جنبكم على طول .

ملأت مرارة خيبة الأمل حلق مرام ، ولم تستطع الرد ، فظلت صامتة... انتبه وليد إلى صمتها

-ألو ... إنتم معايا ؟

- معاك ...

- طب مع السلامة .

أغلق وليد هاتفه دون أن ينتظر رد مرام التي أعادت الاتصال به لمعرفة ماذا حدث ، لكنه لم يجيبها صدم تصرف وليد مرام ، فحاولت الهروب ، وفرت إلى عملها ... كان قلبها يتألم ، عيناها تدمعان لكنها أدعت أن ذلك من تأثير البرد الذي مازالت تعاني منه ، واستمرت في إنجاز عملها بهمة ، ونشاط ، ولم تحاول التفكير مطلقًا في أمر وليد ...

على العكس منها كان وليد الذي لم يكن يفكر في أحد غير مرام ، لكنه

في نفس الوقت لم يستطع الرد عليها ، فمروان كان يجلس بجواره في السيارة المتجه بهما إلى القاهرة ... كان مروان قد حضر في الليلة السابقة إلى الإسكندرية ، وهو عاقد العزم على مواصلة خططه لإجبار مرام على بيع البيت ، ولم يلتفت لقرار والده بوقف كل شيء خاص بهذا الأمر ، فأسرع والده بالاتصال بوليد، وأخبره بضرورة الحضور إلى القاهرة ، ومعه مروان .

كان وليد أشبه بمن يلقي القبض على مروان ، وعندما أراد الأخير أن يستقل سيارته رفض وليد ، وأمر أحد سائقي الشركة بإحضار سيارة مروان ، أما مروان فأخذه وليد في سيارته ... كان مروان يتحدث بضجر طوال الطريق ، ووليد يجيبه باقتضاب ، فمروان شخصية مرفوضة بالنسبة لوليد ، ويعتبره نموذجًا حيًا لفشل فكرة التوريث في العمل ، وكم كان يردد ساخرًا :

« التوريث في الحكم كم ضيع بلادًا كثيرة ، فما بالك بشركتنا الصغيرة؟!».

لكن المشكلة الآن تعدت كل الحدود إنها تتعلق بمرام ، وبيتها ، فشعر وليد بالتوتر كلما تطرق مروان لموضوع قصر مرام ، وزاد من توتره إحساسه بغضب مرام منه ...

«ماذا كانت تنتظر أن أفعل ؟! أكانت تريد أن أتحدث معها صراحة أمام مروان .... لكنها لم تكن تعرف أن مروان بجواري ... ليكن يجب أن تكون على ثقة تامة من أنني أحبها ... أجل أحبها ... أحبها ... آه يا مرام ليتك تشعرين بنبض قلبي ... آه...»

لم يدر وليد كيف أطلق لفظ التأوه بصوت مسموع ، فعلق على ذلك مروان بسخرية ، وبأسلوب خال من الذوق ... نظر له وليد بحدة ، ثم التفت إلى الطريق مما أحرج مروان ، لكنه ظل طوال الطريق يتكلم بلا توقف ، وبنفس الأسلوب الممل المتكبر الذي يؤكد نظرية وليد من أن التوريث في العمل سيؤدي للهلاك ....المهم أنه أصبح على يقين من عدم وجود أي مستقبل ينتظره في هذه الشركة ، لكن الأهم الآن هو مرام، وإنقاذها ...

و أخيرًا وصل وليد مع مروان إلى مقر الشركة واجتمعا مع فهمي السعيد الذي أبدى غضبه ، وأن كان ظاهريًا مما يقوم مروان به... لم يقتنع وليد بكل ما فعله ، وقاله مروان ، ووالده ، وشعر أن الأمر تمثيلية سخيفة ، وإن الأب مازال يحاول أن يجعل من ابنه شخصية قيادية قادرة على التحكم في مقاليد الأمور في الشركة .

فشرد وليد ، وتذكر أيمن ابن زوجة والده الذي أحتضنه الدكتور فكري الحسيني ، وأراد أن يجعله خليفته ... ولما فشل في الحصول على مجموع يؤهله للالتحاق بكلية الطب في أي جامعة حكومية ألحقه بإحدى الجامعات الخاصة، كان كل هدفه يتركز في شيء واحد أن يصبح أيمن طبيبًا حتى يأخذ الراية من زوج والدته الطبيب الكبير ، فمن سيدير المستشفى الضخمة التي بناها الدكتور الحسيني ، وطبعًا كان لزوجته دور البطولة في ترسيخ تلك الفكرة ، والآن ترى ما هو حال المرضى الذين يقعون تحت يد الدكتور أيمن الآن ؟! .... نفس الأمر يتكرر مرة أخرى أمام وليد ليرى أب يريد أن يسلم الراية لابنه بغض النظر عن كم الخسائر، لكن أن يصل الأمر إلى مرام،

وبيتها ، فليذهب مروان ، ووالده إلى الجحيم.

ابتسم وليد بسخرية من التمثيلية السخيفة التي يشاهدها ، فارتبك مروان ، ووالده ... لم يمهلهم وليد

– أعتقد أن من الأفضل أن نبحث عن البديل لقصر مرام يعني أمامنا بدائل إما نشتري قطعة أرض ، ونبني عليها ملحقًا للفندق على الطراز القديم أو نعدل عن الفكرة ، ونكتفي بالمبني إللي علي الطراز الحديث ... أنا شايف إن أحسن حل إننا نعرض الأمر على مجلس الإدارة ، وبسرعة .

وافق فهمي السعيد على الاقتراح ، وحدد الموعد بعد يومين ....

كان على وليد أن يبقى تلك الفترة في القاهرة رغم ثورة قلبه العارمة ، ورفضه لهذا القرار ، لكن ماذا يمكن أن يفعل ؟! لو ذهب إلى الإسكندرية قد يفضح أمره مع مرام ، وفي هذا ضرر بالغ عليها ... لينهى أمر قصر مرام أولًا ، وبعد ذلك يعود إلى شمس حياته ، لكن المشكلة في مرام ، وعنادها، فهي لا ترد على مكالمات وليد لها ، فشعر وليد بالضجر

«أنا لم أذنب كما إنني اتصلت بها لأخبرها بذهابي للقاهرة ... آه يا مرام كفى عنادًا ، وردي على هاتفي .»

وكأن مرام كانت تسمعه ، فأخيرًا ردت على اتصاله ... كانت مرام قد حسمت أمرها وقتها ، فقد أدركت أن وليد لا يهتم بشيء سوى عمله ، وإنه في سبيل ذلك قد يفعل أي شيء حتى لو بدا غير مألوف أو منطقي.... فلم تحاول أن تحلل مواقفه معه ، فهي لن تشغل بالها بشخص يغرقها في فيضان من المشاعر الرقيقة ، ثم سرعان ما يتركها ، ويودعها بأسلوب رسمي ، فردت عليه مرام هي الأخرى بأسلوب رسمي .

-ألو ... أستاذ وليد خير .

ارتبك وليد

-أبدًا... لكن أنا ما عرفتش أقولك سبب سفري ... أنا اتصلت بيكي كتير لكن إنت ...

قاطعته مرام بحزم

-معلش يا أستاذ وليد أنا مشغولة جدًا .... فيه حاجة مهمة .

رد عليها وليد بتكبر

- أبدًا ... مفيش .

أنهى وليد المكالمة ، والغضب يملأه حتى كاد أن يقذف بهاتفه

« أف ... حقًّا طفلة مدللة».

رغم ضيق وليد من صد مرام له ، فقد كان يفكر طول الوقت في البديل الذي سيقدم لمجلس الإدارة حتى يغلق ملف قصر مرام إلى الأبد .... وفي نفس الوقت كان مروان يفكر في كيفية التحايل على ما سيقدمه وليد من اقتراحات ...لتكن، الهدنة لكنه لن يترك مرام ، وقصرها ، فإذا كان وليد يظن نفسه مهندسًا عبقريًا ، وهو المحرك الرئيسي للشركة ، فهو مروان ابن رئيس مجلس الإدارة ، وعائلته صاحبة النصيب الأكبر من أسهم الشركة، فهي أقرب ما تكون شركة عائلية ، وهو أولى بها ، وسيتعامل بالأسلوب المناسب من وجه نظره ، والذي يراه في مصلحة الشركة ..

كان والد مروان يقف دائمًا في صف ابنه ، ويريده أن ينجح في إنهاء صفقة القصر ، لكن الأمر اختلف الآن ، فقد شعر لأول مرة بالخطر ، وأحس أن وليد يقف في صف مرام ، ولا يريد أن تبيع القصر للشركة .

« أتراه يلعب لصالح شركة أخرى أم هو يلعب لصالح نفسه ؟!»

فاتصل ببعض العاملين في الفندق ليتعرف على حقيقة الأمر ، وقتها علم بكل ما فعله وليد مع مرام

« واضح إن الأمر ليس موقف ضد البلطجة ، وانتصار للقيم النبيلة... إنه موقف رجل من امرأة جميلة ... آه يا وليد ... ها ...ها كم كنت بعيدًا عن لعبة النساء ، وكم كرهت إدخال هذه اللعبة في مجال العمل ، والآن أنت غارق في بحر الهوى ، للأسف أنت لا تجيد قواعد مثل هذه الألعاب.. ها..ها ...»

كان مروان هو الآخر قد توصل إلى ما توصل إليه والده ، والتقى الأب، والابن ، والاثنان متفقان على الهدنة الظاهرية ، والعمل بعد ذلك على اللعب على أوتار الحب ، فما أسهل التلاعب بالمحبين، والنيل منهم ... أطلق مروان ضحكة شيطانية .

- وفي النهاية مش حا يكون أمام مرام إلا كتف مروان الحنون .

رد عليه والده ، وهو يجاريه في الضحك

- ولا تصاب بصدمة نفسية ، وتهرب من حبها ، وتهج .

- في الحالتين مش حا يكون أمامها إلا بيع القصر .

- وإحنا الكسبانين .

- المهم نلقن وليد درس عشان يعرف إزاي يقف ضد إرادة الشركة إللي بتأكله عيش ، وإزاي يعرف يحب .

استعد مروان ، ووالده لاجتماع مجلس الإدارة ، وهما يرتديان وجها البراءة ، وأظهرا أنهما يسعيان دائمًا لمصلحة الشركة .... أما وليد فقد كان

قد توصل إلى اقتراح عملي لإنهاء أمر قصر مرام ، فقد أوضح أن صفقة شراء القصر قد فشلت ، وليس أمام الشركة إلا التفكير في حل بديل لفكرة دمج الأجواء القديمة مع الحديثة ، فاقترح وليد تخصيص طابقين من الفندق للتعبير عن أجواء بدايات القرن الماضي ، أما باقي الفندق يحتفظ بالطراز العصري .

– هنا حا يكون للديكور دور كبير جدًا .

ورغم أن مروان كان يريد أن يظهر في صورة الشاب المهذب الرقيق ، فقد كان يتمتع بثقل ظل يطفو على السطح بمجرد أن يفتح فمه ليتحدث .

– واضح إنك مرتب كل حاجة ناقص مهندس الديكور إللي حا ينقل لنا جو التلاتينات .

وبتلقائية أجابه وليد

– مرام .

اندهش الحاضرون مما قاله وليد ، لكنه أوضح الأمر ببساطة شديدة

–واضح إن فيه حد من العمال حب يجامل الشركة فعمل شوية حاجات سخيفة هي بلطجة في الأساس ، وده عمل مشاكل كتيرة مع مرام يمكن تتصعد ، وتشوشر على الشركة ، لكن لما تشتغل معانا الوضع يختلف ، كمان هي مهندسة ديكور في الأساس ، وأكتر واحدة عارفة طرز بدايات القرن الماضي ما هي عايشة فيها .

لم يقتنع أغلب أعضاء مجلس الإدارة بكلام وليد ، واعتبروا إسناد ديكور أهم جزء في الفندق لمهندسة غير معروفة مغامرة غير محسوبة العواقب ، لكن مروان ووالده انضما لوليد ، وأيدا وجهة نظره بشدة ،

ودافعا عنها حتى اقتنع أغلب الحاضرين بالاقتراح كما أنهم أسندوا لوليد مهمة الاتفاق مع مرام على العمل ، ومتابعة سير العمل في الفندق بجانب أعماله في الشركة التي ستنتقل لمقر الإسكندرية ، وفي النهاية أوصى المجلس بتقديم موعد افتتاح الفندق ...

اجتاحت وليد سعادة غامرة ،فتركها تحتل قلبه كاملًا دون خوف أو قلق ... فما أجمل أن يمتلأ قلبه بالفرح ذلك الطير المغرد الذي عزف كل ألحان الحب! فرددها وليد وهو يقود سيارته عائدًا إلى الإسكندرية .

« آه هل سألحق بالشمس وقت الغروب لأرى شمس حياتي تضيء لي ظلمات طالما عانيت منها ... لا... لا ... لن أذهب إلى الشاطئ لقد عاملتني مرام بمنتهى القسوة ، وأنا غاضب منها ...يجب أن تعتذر أولًا ، وأقبل اعتذارها قبل أن أذهب للشاطئ مرة أخرى .»

ظل وليد يؤكد على نفسه أنه لن يذهب للشاطئ ، وعندما دلف إلى حجرته بالفندق أسرع إلى شرفته يتأمل الشاطئ ... كان موعد الغروب لم يأت بعد لكن وليد ظل يتأمل البحر ، والسماء ، والشاطئ حتى إذا وطأت قدما مرام رمال الشاطئ أسرع الخطى لتجده أمامها ، والشوق يملأ عينيه اللتين أطلقتا فيضانًا من المشاعر أحاط مرام من كل اتجاه .... لم تستطع مرام مقاومة ذلك الفيضان الجارف ، فتخلت عن كل أقنعة الغضب التي كانت تحاول ارتداءها ، وعلت وجهها ابتسامة الفرح بلقاء وليد... تملكت وليد رغبة عارمة بأن يأخذ مرام بين ذراعيه ، ويضمها إلى صدره ، لكنه كبح جماح رغبته المجنونة ، وأوكل تلك المهمة لنظرات عينيه التي عانقت مرام بقوة ...

أما مرام ، فقد خنقت مشاعر سعادتها برؤية وليد ، ونظرت له بحدة، وكبرياء ، وهمت بمغادرة المكان ... أمسك وليد يدها ليستوقفها ، فأزاحت يدها عنه بغضب

-آسف ... أنا عارف إنك زعلانة من مكالمتي لك ، لكن مروان ابن رئيس مجلس الإدارة كان جنبي، وماحبتش أبين إني بأكلمك عشان ما يعرفش إن فيه حاجة بينا .

رفعت مرام رأسها بتكبر

- أستاذ وليد إللي بينا كان عرض شراء لقصري ، وإنتم استخدمتم كل الوسائل المشروعة ، وغير المشروعة ، وعشان الموضوع ما يكبرش أكتر من كده إحنا حلناه ودي ، وفي هدوء ...ده كل إللي بينا ، ولا حضرتك فاكر إن فيه حاجة تانية .

نظر لها وليد بحدة ، واختفى فيضان مشاعره الرقيقة ليحل مكانه بركانًا من الغضب تتطاير حممه لتحاصر مرام التي فرت مسرعة ... كانت أوصال مرام كلها ترتجف من شدة الغضب ، وتملكتها ثورة عارمة .

« من هذا الأبله ؟! ... أنسي من أكون ؟! ... آه يا أبي ... آه يا أمي ... آه يا كل أفراد أسرتي ... أنا مرام ابنة عائلة الحناوي التي كانت الإسكندرية كلها تعرفها ،وتحترمها، ويتمني كل شخص فيها الحديث مع أي فرد يعرفنا ... يتبرأ هذا الأبله من معرفته بى ، ولا يريد أن يعرف أحد أنه يتحدث معي ... أمجنون هذا الوليد ؟!! عليه اللعنة ألف مرة».

حاولت مرام تهدئة نفسها ، وإيجاد الأعذار لوليد بأنه ربما لا يعرف مكانتها جيدًا أو ربما كان يخشى على نفسه أو على مكانته في الشركة ،

لكنها في كل مرة كان يتملكها الكبرياء ، وتصل إلى أن وليد لا يهتم بأي شيء سوى عمله وعمله فقط ، ولا يلقي بالًا لأي علاقات شخصية حتى ، ولو كانت مع مرام ، وهذا ما ترفضه مرام بشدة .

لم يكن وليد أقل غضبًا من مرام ، وتملكته رغبة عارمة في ضرورة أن يعيد تربية تلك « المدللة المتكبرة «

« آه يا مرام، أقسم بالله العظيم لأجعلنك تتركين تكبرك ، وتعلمين أن كسر التماثيل خطأ ، وليس آخر صيحات الموضة».

(٨)

كان وليد يعلم تمام العلم أن مرام لن تقبل عرض العمل الذي تقدمه الشركة لها ، لكن يجب أن تعمل معهم في مشروع الفندق ، فكيف سيرضخ تلك المتكبرة ؟..

وضع وليد العديد من الخطط لمحاصرة مرام ، وجعلها توافق على عرض الشركة ، لكنه في كل مرة لم يكن لديه الورقة الرابحة التي تجعلها تذعن لإرادته ، وكضوء البرق رأى صورة الدكتور حسن ، فرجع برأسه إلى الوراء .

« إنه ورقتي الرابحة .... فكيف ستستطيعين الفرار أيتها الأميرة المدللة؟!»

ترك وليد لمرام الشاطئ وقت الشروق ، فتملكتها مشاعر متضاربة ، وفي النهاية سيطر عليها الشعور بالغضب ... وكم حاولت إنكار ذلك لكنها لم تستطع ... فقد كانت تتمنى أن ترى وليد ، لكن لماذا تدخل نفسها في تجربة لن تجني منها سوى العذاب ، فالفراق هو القدر المحتوم، وفضلًا عن ذلك كان جرح الكرامة يدمي قلب مرام ، فهي لا تستطيع استيعاب أن يخفي وليد معرفته بها ... لماذا ؟ هل يفعلان شيئًا خطأ أم ترى وليد «بك» لا يناسبه أن تربطه علاقة من أي نوع بفتاة مثل مرام.

كادت رأس مرام تنفجر كلما تذكرت ما حدث من وليد ، وتبريره لتصرفه الخالي من أبسط قواعد الذوق ، لكنها سرعان ما أنبت نفسها

« ماذا يا مرام ... هو يضع عمله ، ومصالحه في المرتبة الأولى ، وأنا أظل أفكر فيما فعل ، ولا أركز في عملي ، في دنيتي الجديدة التي يجب أن أحقق فيها إنجازًا كبيرًا لأكون جديرة بحمل لقب عائلة الحناوي هكذا أراد جدي محمود ، ويجب أن أكون عند حسن ظنه ، فأنا واثقة أن الجميع يتابعون كل ما يحدث لي ، ويباركون خطاي ... حقًّا كل منا يعيش في عالم مختلف عن الآخر لكنني على ثقة من أنهم دائمًا معي ... أشعر بأنفاسهم تحيط بي ، وتملؤني بالدفء ، والأمان».

كان حماس مرام للعمل كبير رغم أنها لم تبدأه فعليًا ، كما أن شكل الحياة العملية الجديد لم يكن واضحًا أمامها لكن لم يؤثر ذلك على ثقتها بنفسها ، وكانت البشارة مكالمة من الدكتور حسن يطلبها بشأن موضوع خاص بالعمل .

وفي لمح البصر كانت مرام في مكتب الدكتور حسن الذي عرض عليها عمل ديكور طابقين في أحد الفنادق الكبرى على النظام القديم ، فشركة الإنشاءات التي تتولى بناء الفندق تريد تقديم موعد افتتاحه من ناحية ، ومن ناحية أخرى مطلوب ديكور خاص يحتاج لخبير، لذا اتصلت بمكتب الدكتور حسن .

– لكن إنت عارفة إن الشغل عندي كتير ، وأنا بصراحة من فترة مقلل الشغل ، وبعدين بيني ، وبينك لما لقيتهم بيتكلموا عن الطراز القديم فكرت فيكي أصل الموضوع بالنسبة ليكي سهل جدًا يا دوب تنقلي إللي

عندكم في البيت هو فيه أجمل ولا أعرق من قصر الحناوي .

ردت عليه مرام مبتسمة ، والحماس يملأها

- متشكرة جدًا يا دكتور أنا حا أكون عند حسن ظنك .

- شوفي المدير المسئول عن الفندق جاي كمان شوية وقتها اتفقوا على كل حاجة ، وإمضي العقد معاه ، وشوفى إنت عايزة كام .... ولا أقولك الموضوعات المالية ، والاتفاقات إنت لسه عضمك طري أنا حا أخلص كل حاجة ، وإنت توقعي بس .

شكرت مرام أستاذها على كل ما يقدمه لها ، واعتبرته يقدم لها معروفًا لا يمكن أن ترده مهما فعلت

-إنت على طول كده بتبالغي ... المهم أقعدي ساكتة خالص ، وإتعلمي مني إزاي الاتفاقات الكبيرة تتم .

نفذت مرام المطلوب منها ، وظلت صامتة تتابع مناقشات مدير الفندق مع أستاذها ، وكأن الزمن قد عاد بها للوراء عدة سنوات ، وعادت لتجلس في قاعات المحاضرات تتابع أستاذها ، وهو يشرح أحد الدروس المهمة، وأخيرًا جاء دورها لتوقع على العقد .

كان الحماس يملؤها ، فلم تدقق في بنود العقد ، واكتفت فقط بإلقاء نظرة سريعة ، وبعد أن غادر مدير الفندق تذكرت أنها لم تسأله عن موقع الفندق ، وعندما أخبرها د. حسن بموقع الفندق أسقط في يد مرام فهو نفس الفندق الذي تنشئه شركة وليد .

رغم أن الدكتور حسن أدرك تمام الإدراك ما حل بمرام فقد تجاهل كل ما يراه أمامه ، وعندما همت مرام بالحديث المضطرب بادرها الدكتور

حسن بالكلام عن أهمية هذا العمل لها ، وأوضح الدور الكبير الذي بذله، ولولا مكانتها عنده ما كان ليفعل ذلك ، ثم ادعى أنه على عجل من أمره ، فأنهى المقابلة .

خرجت مرام من مكتب أستاذها ، وكأنها سقطت من السماء السابعة إلى أسفل سافلين لا تعرف ماذا عليها أن تفعل ، فسارت في الشوارع بخطوات بطيئة حائرة ... قضت مرام ليلتها تفكر فيما حدث لها ، وكيف ستخرج من هذه الدائرة المحكمة حولها . فكرت في البداية في الاعتذار، لكن كيف، فالأمر ليس بمثل هذه البساطة ... إنه أستاذها الذي رشحها للعمل ، وتولى عملية الاتفاق ، كما إنه أول عمل لها ، فإذا لم تظهر جديتها ستكون أكبر ضربة قاضية لها ... ومن ذا الذي سيرشحها لأي عمل ، وهي توقع على عقد عمل في الصباح ، وتعتذر عنه في المساء ، لكن إن وافقت على العمل ، فهذا يعني أنها ستلتقي دائمًا مع وليد .

« ما هذا الهراء يا مرام؟ وليد نائب رئيس مجلس الإدارة ، وله أعمال كثيرة ، وأغلبها في القاهرة... أيترك كل أعماله من أجل ماذا ؟! ما هذا السخف ؟! إن العمل عند وليد له المرتبة الأولى ، ثم إنه يتبرأ من معرفته بي، أي إنه إما أن يكون في القاهرة ، وإن كان في الإسكندرية فهو لن يحاول أن يقابلني ... فلا داعي للخوف أو التردد لأخوض التجربة ، وأثبت كفاءتي، ثم إن وليد لا يهمني في شيء لأقابله في الفندق أو على الشاطئ لا فرق عندي إنه أقل من أشغل بالي بالتفكير فيه».

لكن أحقًّا استطاعت مرام أن تطرد وليد من تفكيرها ... مهما حاولت فقد ظلت صورته تطاردها أينما ذهبت... تتخيله أمامها في الفندق ، وهو

الرئيس المهيمن يأمر ، وينهي ، فماذا ستفعل معه ؟!

كم كانت سعادة مرام عندما لم تقابل وليد على الشاطئ مع شروق الشمس...فقد كانت تخشى من لقائه خاصة إنه لم يصبح شخصا عاديًا إنه الآن صاحب العمل ربما يفرض سيطرته عليها أو يحاول أن يخضعها لإرادته .

« مرام ... كفى سخفًا ... أنا مهندسة ديكور محترفة ، ووليد كأي عميل سأعامله بأسلوب مهذب ، وجاد ... أنسيت أنا منذ أن كنت في الجامعة ، وأنا أعمل في هذا المجال ، فلماذا أشعر بالخوف الآن؟!».

رن في أذن مرام كلمات أفراد عائلتها يشجعونها ، ويرفعون من روحها المعنوية ، فامتلأت ثقة بنفسها ... رفعت مرام هامتها ، وسارت بخطوات ثابتة ، واتجهت نحو الفندق ، وتوجهت مباشرة إلى مكتب مدير الفندق لمقابلته ... لم يضيع المدير الوقت ، وأصطحب مرام لتتفقد الطابقين اللذين ستصمم لهما الديكور .

بدأت مرام عملها مباشرة خاصة أنه تم تخصيص مكتب لها في الفندق لتباشر عملها فيه ... استمرت مرام لساعات طويلة تعد تصميمًا لديكور الطابقين ، واستعانت بصور شخصية لعائلتها يظهر فيها الأثاث القديم، وشكل الحوائط ، كما بحثت في الصور الخاصة بالقصور القديمة... انتبهت مرام على صوت مدير الفندق يخبرها بأن الوقت قد تأخر ، فغادرت مكتبها حاملة أوراقها ، والكمبيوتر الشخصي لها لتستكمل عملها في البيت .

كانت مرام تشعر بالراحة ، واختفى توترها نهائيًا لأنها لم تقابل وليد

لا على الشاطئ ، ولا في الفندق حتى أنها ظنت أنه غادر الإسكندرية ، وعاد إلى القاهرة ... ابتسمت مرام لنفسها بسخرية ، وهي تتذكر كيف كانت تفكر في وليد ، وأحلامها وهى تحكي لأسرتها عن وليد ..يا لها من بلهاء!.. لا يهم ... ما يهم الآن هو مخطط تصميم الديكور الذي انتهت منه، وعليها أن تعرضه على مدير الفندق .

أسرعت مرام إلى الشمس تري شروقها الجميل ، ومعها عملة أمانيها، وأخبرتها بأمنيتها بأن يوافق مدير الفندق على المخطط الذي وضعته ... قذفت مرام بالعملة في البحر ، والحماس يملأها ... ظلت مرام على الشاطئ تتأمل البحر حتى جاء موعد بدء العمل ، فأسرعت إلى الفندق لتكون أول من يقابل المدير .

كانت مرام تسعى للحصول على موافقة المدير النهائية على مخططتها، فالغد هو وقفة عيد الأضحى ، والجميع سيكون في إجازة ، فمن الأفضل إقرار التصميم حتى تبدأ التنفيذ بعد العيد مباشرة ...

انتظرت مرام المدير في مكتبه ، ودقات قلبها في سباق مع الزمن تتعجل اللقاء ... انتبهت مرام على فتح الباب ، فهبت واقفة ، وهي ترسم الابتسامة على وجهها ، لكن تحولت ابتسامتها إلى وجوم عندما رأت الشخص الذي دلف إلى حجرة المكتب ، وقبل أن تنطق بكلمة تعجب أو اضطراب بادرها وليد بالكلام

- أنا إللي لازم أشوف مخطط التصميم .

وجمت مرام ، ووقفت كالتمثال لا تستطيع أن تتحرك ... أثار منظرها وليد ، فغزت الابتسامات وجهه ، لكنه حاول إخفاءها ، واصطنع الجدية

- اتفضلي ، وياريت أشوف المخطط بسرعة ، فأنا عندي شغل كتير .

أذعنت مرام لأوامر وليد الذي نظر إلى المخطط بوجه جامد خال من الحياة ... شعرت مرام بالدماء تغلي في عروقها ، وأحست بأن وليد يريد أن يصفي حساباته معها ... لا بأس إن أظهر أي تعسف ، فلتترك له العمل... استعدت مرام لهجوم وليد ، لكنه خذلها ، ونظر لها بعينين يملؤهما الإعجاب

- المخطط كويس لكن هناك بعض الملاحظات لو سمحت حضرتك.

نظرت له مرام باهتمام ... أخذ وليد يبدي ملاحظاته ، ومرام ترد على ما يقوله تتبادل معه وجهات النظر يقتنع بوجه نظرها مرة ، وتقنعه هي بما قامت به مرة .... تملك وليد الإعجاب الشديد بمرام مهندسة الديكور ، فشرد وهي تشرح له وجهة نظرها في النقطة الأخيرة لملاحظاته ... كان وليد يقارن بين مرام ، وأسلوبها مع أسلوب الكثير من العاملين معه في الشركة خاصة مروان ، فأخذ يسأل نفسه

«أيمكن أن تتمتع امرأة بكل هذه المهارات أم أن مرام امرأة فوق العادة؟!»

أفاق وليد على صوت مرام تسأله رأيه ، فرد عليها ووجهه يملؤه الابتسام

- كده إحنا اتفقنا على كل شيء يبقى نبدأ التنفيذ .

شعرت مرام بالحماس يملؤها ، فعلت الابتسامة وجهها ، ومدت يدها لتصافح وليد

- شكرًا... يعني بعد العيد نبدأ .

فجرت كلمة العيد لدى وليد فيض من الذكريات الأليمة ، وتذكرت كيف كانت أيام العيد تمر عليه ، والحزن يملأه ، وهو يجلس وحيدًا بمفرده، والكل يحتفل وسط أسرته ... تخيل وليد صورة مرام تجلس بمفردها على مائدة الطعام ، والدموع تملأ عينيها ، والحزن ، والألم يعتصران قلبها ...رسم وليد على وجهه علامات الجدية ، والصرامة ، وتحدث بحدة ، وحزم .

- عيد إيه يا مرام، إحنا في سباق مع الزمن ...يعني لازم ننتهي من الشغل بسرعة البرق مش ناخد إجازة في العيد .

- أنا بتكلم عن العمال .

- والله العمال دول مسئوليتك ، لكن لو عندك مشكلة ممكن نبحث لك عن حل ...

قاطعته مرام بحدة

- أستاذ وليد لو سمحت ...

قاطعها وليد بحدة

- مرام تنفيذ المخطط يبدأ من اليوم ، والشغل مضاعف عشان ننتهي في الميعاد الموجود في العقد .

استشاطت مرام غضبًا ، وكادت أن تترك العمل لكن نظرات وليد المتكبرة جعلتها تدخل معه في تحد

- قبل الميعاد الشغل كله حا ينتهي .

ابتسم لها وليد بسخرية

- أتمنى .

نظرت له مرام بتكبر ، وغادرت مكتبه ، والتحدي يملأها ، وفي لمح البصر كانت قد بدأت في تنفيذ مخطط التصميم الذي وضعته ...وجاء العيد ، ولأول مرة منذ سنوات مضت لا تشعر مرام بمرارة فقدان أحد الأحباب ، أو فقدهم كلهم ، فقد كان العمل يحاصرها من كل اتجاه ، ووليد يزيد من ضغطه عليها يدعوها إلى مكتبه لمناقشتها في مخطط التصميم مرة أخرى

- أستاذ وليد، إحنا انتهينا ، وحضرتك وافقت على مخطط التصميم .

فعلًا ... لكن أنا أبدي بعض الملاحظات البسيطة .

-يعني إيه ؟!

رد عليها وليد ببرود

-ما فيش حاجة مهمة إمبارح شفت فيلم قديم ولفت نظري الديكور فحبيت ...

قاطعته مرام بحدة ، وضجر

- وليد ...ياريت تقفل التليفزيون لحد ما ننتهي من ديكور الدورين .

أطلق وليد ضحكة صافية أثارت غضب مرام ، فتركته ، وغادرت المكتب لتعود إلى عملها ... لم تشعر مرام بمرور الوقت حتى بلغ منها التعب مبلغًا ، وقتها أدركت أنها تأخرت كثيرًا في العمل ، فعادت إلى منزلها منهكة القوى ، ولم يكن لديها أي مقدرة على التفكير في ذكريات الماضي حتى في نومها لم ترى سوى العمل الذي ينتظرها في اليوم التالي

.

وهكذا مرت أيام العيد الثلاثة الأولى ، ومرام لا تعرف للحزن طريقًا... كم شعر وليد بالسعادة وهو يتابع مرام ، وهي تعمل بجد ، وعيناها يملؤهما الحماس ، وغابت عنهما الدموع ... حقًا كم تمنى أن يجد فرصة للاحتفال بالعيد معها ، لكن لم يكن أمامه سوى شيء واحد ، وهو ممارسة كل الضغوط على مرام في العمل!

كانت مرام تتقبل ملاحظات وليد ، والضجر يملؤها ، وكثيرًا ما كان يظهر على وجهها ملامح الغضب ، فيستغل وليد الفرصة لإغاظتها

– الدورين دول لازم يكونوا على شكل المباني القديمة ، ومش عايز أي ابتكارات ... يعني لا يمكن نقبل التماثيل المكسورة على إنها موضة الأربعينيات .

ردت عليه مرام بحدة

– وليد إنت عايز إيه؟!... أنا حاسة إنك مش واثق في قدراتي ... على فكرة أنا ما هبطش بالباراشوت كمان أنا ما ليش قريب في الشركة وجيت بواسطة منه .

أخفى وليد ابتسامته ، وتصنع البرود

– أنا اقترحت الدكتور حسن شغله معروف ، وما كنتش أتوقع إن التعاقد يبقى في النهاية مع واحدة ست .

نظرت له مرام باستنكار

– يعني الموضوع ست ،وراجل ... عمومًا ما ده شيء متوقع من واحد...

لم تكمل مرام حديثها ، وأشاحت بوجهها عن وليد لتتركه ، فأمسك

وليد بيدها يستوقفها

– واحد بيؤمن بالخرافات مش كده ؟!

أحست مرام بالإحراج لأن وليد ظن إنها تستغل سرًّا قاله لها ، فردت عليه منكرة ما ظنه

– أبدًا ... أنا ما قصدش إللي إفتكرته أنا قصدي إن الرجالة كلهم زي بعض ما بيثقوش قي قدرات المرأة .

اقترب وليد من مرام ، والتقت عيناه بعينيها ، وشعرت بقلبها يخفق، فخافت أن يجرفها فيضان المشاعر المنبعث من عيني وليد ، فأطرقت رأسها ، ونظرت إلي الأرض ...أصطنع وليد الجدية

– مرام أنا عارف محلات ، وورش شغالة في الأثاث ، والديكور إللي واخد الطبع القديم يعني ممكن تفيدك .

– وليد أنا ...

قاطعها وليد

– مرام الموضوع كله مش حا يستغرق وقت ... كلها ساعة ، ولا ساعتين بالكتير ، والنهاردة رابع يوم العيد يعني أغلب المحلات فتحت، والمواصلات سهلة ، فكل حاجة حا تخلص بسرعة .

وافقت مرام على اقتراح وليد ، فقد وجدتها فرصة لتغيير جو العمل هكذا بررت الأمر لنفسها ، لكن الحقيقة التي كانت تعلمها جيدًا هي أنها شعرت بالسعادة ، وهي تتنزه في العيد مع وليد حتى لو كانت نزهة عمل ما المشكلة ؟! ألا يوجد عشاء عمل ، وغذاء عمل ....لتبتكر هي ، ووليد مصطلحًا خاص بهما ..

وكما توقعت مرام كانت بالفعل نزهة حقيقية ، فقد استمتعا بتجولهما وسط المحلات التي تقدم المقتنيات ذات الطرز القديمة ... كانت مرام تحب مثل هذه المحلات ، وما تقدمه... ملأت السعادة وجه وليد وهو يرى مرام ، وعيناها تلمعان من الفرح ، فها هو العيد الحقيقي قد أتى ، وعمَّ المكان بالفرح .

دعا وليد مرام للمشي على « كورنيش البحر « ، وأحضر لهما كيسين من الفول السوداني الذي يباع على « الكورنيش» .. أخذت مرام الكيس منه بفرح ، وكأنها طفلة صغيرة

– إنت عارف أنا بحب الفول السوداني جدًا .

– طبعًا ده من طقوس المشي على الكورنيش ... هو إنت نسيتي إني قضيت حوالي خمس سنين في الإسكندرية ، وأعرف كل حاجة فيها يمكن أحسن منك .

أطلقت مرام ضحكة صافية

– يا سلام، ده إنت كنت في الكلية في الشتا ، وفي الصيف ترجع إلى القاهرة .

شرد وليد قليلًا ، ثم تحدث بصوت خافض ، وهادئ ، وكأنه أتى من الماضي السحيق

– أنا ما كنتش بأرجع إلى القاهرة ... بعد جواز بابا مراته غيرت كل ديكور البيت ، وما بقاش لي مكان في بيته ولا أي حاجة، وابنها استولى على كل حاجة ... جناح كامل له ... ومرات بابا تحلل ، وتفسر إللي عملته بمنتهى الحنية .

قلد وليد زوجة والده بأسلوب ساخر

– أنا عملت كده عشان يبقى وليد مع أيمن على طول ، ويتعودوا على بعض ما هم أخوات .

أطلقت مرام ضحكة من أسلوبه ، فرد عليها بالضحك

كان الجو باردًا ، والأمواج عالية ، وأحيانًا تلقي برذاذها على وجهي وليد ، ومرام ، فترتفع ضحكاتهما ، ويسرعان الخطى ، وكأنهما يتسابقان مع الرياح ، والأمواج العالية ، وتزداد الضحكات لتملأ المكان كله ... ووليد ومرام يسيران على الشاطئ لا يشعران بكم المسافة التي قطعاها ، وفجأة وجدا أنفسهما عند شاطئ جليم ، فابتسمت مرام

– إحنا وصلنا خلاص معقولة ... أنا ما حاسيتش بالوقت .

رد عليها وليد بصوت حنون

– معاك الوقت ما لوش أي حسابات .

شعرت مرام بالخجل ، فأخفت مشاعرها باصطناع الابتسامة .. سار وليد ، ومرام صامتين حتى وصلا إلى منزل مرام ، فقطع وليد حبل الصمت...

– تعرفي، أنا أول مرة أحس بالعيد من أكتر من خمسة وعشرين سنة .

ردت عليه مرام بصوت يملؤه الحنان

– إنت في العيد ما كنتش بتروح لبابا .

أشار لها وليد بالنفي ... شعرت مرام بالأسى ، فخفف وليد من حدة مشاعرها

– وقتها كنت أدعو ربنا بأن يرزقني بعيد خاص جدًا كله سعادة ، وهنا.

– ودعوتك تحققت ؟

أخرج وليد من جيبه لفافة هدايا صغيرة كان قد اشتراها في غفلة من مرام ، وأخرج منها هدية عبارة عن سوار من الفضة مرصع بالأحجار الكريمة ، ومصمم على الطراز التركي القديم ... أمسك وليد بيد مرام، وألبسها السوار ، ورفع يدها ، وقبلها ....شعرت مرام بالنيران تسري في كل أوصالها ، وملأها الشعور بالخجل ، لكنها لم تستطع التحرك من مكانها ، وظلت أسيرة لنظرات وليد التي حاصرتها من كل اتجاه ، واقترب منها وليد ، وهمس لها

– تصبحين على خير ... أشوفك بكرة مع الشروق ، وأمنيات اليوم الجديد .

(٩)

كان الشروق أروع ما يكون ، واستبشر وليد ، ومرام به ، وتوقعا أن تتحقق كل أمانيهما...بادرت مرام وليد بالسؤال

- إنت إتمنيت إيه ؟

ابتسم وليد ابتسامة كسولة

- أنا عندي أمنية واحدة أتمنى أن تتحقق بأقولها في الشروق ، والغروب، وفي كل وقت .

وبفضول طفولي سألته مرام

- إيه ...إيه ؟؟

نظر لها وليد ، وغرق في بحر عينيها

- لما تتحقق حا تكوني أول إللي يعرفها

نظرت له مرام بضجر واضح إنك ما بتعتبرنيش صديقة بجد .

نظر لها وليد بحدة ، واستنكار

- أنا عمري ما فكرت فيكي على إنك صديقة ... صديقة!! إيه الكلام الفارغ ده .

نظرت له مرام بمكر

- طب بلاش نبقى أصدقاء ... أنت ...

صمتت مرام برهة ، ثم أكملت حديثها بمكر

- إنت صاحب العمل إللي مشغلني .

ملأت الابتسامات وجه وليد

- تعرفي إنت تستهلي الضرب .

- ما ينفعش يا سيادة نائب المدير إنت مش شايف شكلك وإنت دايما لابس ملابس رسمية ... فإزاي تجري ورا آنسة على البحر ، وتضربها ، وإنت بالملابس دي .

أطلق وليد ضحكة صافية

- ربنا يخليكي يا مرام ... إنت أجمل هدية منحها القدر ليتيم يائس .

ابتسمت مرام فدعاها وليد للجلوس بجواره على الرمال ... كان الشاطئ هادئًا ، فظل وليد ، ومرام صامتين يستمعان لصوت البحر ، ووليد يتأمل مرام حاولت مرام الفرار من حصار نظراته ، فسألته وهي تبتسم

- إنت ليه كنت واثق إني متجوزة ؟

- معقولة يعني واحدة زيك ، وتفضل لحد دلوقتي من غير جواز ليه همة رجالة الإسكندرية عموا ... مش مشكلة، رجالة القاهرة موجودين .

- يا سلام، وإيه يعني ؟! ...طب ما إنت ما تجوزتش ، وإنت وليد بيه الحسيني!

- شكرًا على المجاملة ، لكن أنا طول عمري ما بحبش الستات ، وفعلًا شايف الراجل إللي يربط حياته بواحدة ست يبقى عبيط ... فالستات سبب

كل الكوارث .

نظرت له مرام بحدة

– شعور متبادل ، فالرجالة كلهم عيوب ، وفعلًا عبيطة إللي ترتبط بأي راجل .

ابتسم لها وليد ، وحدثها بصوت هادئ

– أنا تعرضت لظلم كبير من ستات كان المفروض يكونوا أفضل ، يعني مش موقف متعسف ، ولا دليل على الغرور .

– أنا شامة ريحة سخرية ... ما عليش ...على فكرة أنا قمة التواضع .

أطلق وليد ضحكة صافية

– إنت أميرة مدللة ، وإحنا رعيتك .

– طب كفاية ... حان وقت العمل ، وأنا عارفة إنك بتستعر مني ، فأنا...

قاطعها وليد ، وهو يبتسم

– مرام أنا كنت خايف عليكي ، وبأحميكي ، لكن نعمل إيه في أميرتنا المدللة لازم نعتذر حتى لو ما كناش غلطانين .

ابتسمت مرام له ، فعانقها وليد بنظرات عينيه ، فلم تستطع مرام الفرار، وظلت واقفة أمامه ، فابتسم لها ، ودعاها لتذهب معه إلى مقر عملهما ، وليعرف الجميع بعلاقته بمرام ، هذا فخر له ، ولا يمكن أن ينكره ، وإن حاول ستفضحه عيناه ، وتبوح بكل أسرار قلبه ، لكن حتى ، وإن لم تفضحه عيناه ، فهناك من يعرف بخفايا قلبه ، ويسعى بكافة الطرق لاستغلال هذه المشاعر لمصالح شخصية دنيئة .

ما إن دلف وليد إلى مكتبه حتى وجد مروان في انتظاره ... وجم وليد عندما رآه ، ثم علت وجهه كل علامات الضيق ، واستقبل ضيفه ببرود . كان مروان من التكبر ، فلم يدرك أنه شخصية غير مرغوب فيها ، وأخذ يتحدث بأسلوبه السخيف الخالي من كل قواعد الذوق ، ووليد لا يلتفت لكلامه حتى يأس مروان ، وغادر مكتبه.... اتجه مروان مباشرة إلى مرام التي كانت وسط العمال تمارس عملها بجد ، ونشاط ...

قدم مروان نفسه إلى مرام ، ولم يعطها أي فرصة للحديث ، فقد بدأ سيل من الكلام أبدى من خلاله إعجابه المتزايد بما تقوم مرام به ... كان يتحدث بأسلوبه المعتاد ، فأثار ضيق مرام ... حاولت في البداية أن تتحلى بالذوق ، لكنها لم تتحمله ، فأظهرت انشغالها في العمل حتى يغادر المكان، لكنه استمر في حديثه الممل .

لم تستطع مرام التحمل أكثر من ذلك ، فاتصلت برقم وليد لعله يفهم رسالتها له ، ويأتي إليها مسرعًا... لحظات وكان وليد أمامها . عندما رأى وليد مروان استشاط غضبًا ، وحدثه بلهجة حادة

-إنت بتعمل إيه هنا ؟

أبدى مروان استياءه من طريقة وليد معه ، لكن أمام نظرات وليد الحادة لم يستطع مروان أن يفعل شيئًا غير مغادرة المكان .

دعا وليد مرام إلى مكتبه ، وعندما أغلق الباب بدأ سيل من الأسئلة التي تحمل كل معاني التأنيب بل تصل لحد الهجوم علي مرام .. فصاحت محتده

- وأنا أعمل إيه؟ مروان ابن رئيس مجلس الإدارة

قاطعها وليد

– في البيت .. لكنه في الشركة مجرد موظف كل شوية بيخرب الدنيا و احنا بنعدل وراه .

نظرت له مرام بحدة

– أنا ما أعرفش حاجة عن إللي بتقوله .

استمر وليد في حديثه الحاد ، وعلا صوته

– نعم ... مش مروان ده هو قائد حملة البلطجة ضدك ، ولا إنت نسيتي؟!

–المطلوب ؟

تحدث وليد آمرًا

–مافيش حد يعتب برجله الدورين بتوعك ....كمان ما لكيش دعوة بمروان ...ده راجل مش كويس ده عامل نفسه «دون جوان» إنت ما لاحظتيش نظراته ليكي .

ابتسمت مرام بمكر

– تمام يا أفندم .

هدأ وليد لكنه شعر بالخجل من ابتسامة مرام له ..هل أصبح واضحًا بمثل هذه الصورة ، فتحدث بارتباك

– أنا عارفه ، فعشان كده خايف ليضايقك .

– وليد أنا مصدقة كل كلامك عن مروان لكن حكاية دون جوان دي صعبة شوية ده عبيط ، وغلس .

أطرق وليد رأسه ، ونظر إلى الأرض ، وملأت الابتسامة وجهه

– هيَّا ارجعي على شغلك .

اتجهت مرام لمغادرة المكتب فنادى وليد عليها

– مرام إنت حا تمشي ... يعني خليكي شوية ... أقصد ... طب نتقابل وقت الغروب .

انطلقت من عيني مرام نظرات مشاكسة

– الغروب وقت الأماني البعيدة ، ودي ما لهاش مكان دلوقتي ... إحنا يا أستاذ بنواصل الليل بالنهار أصل بصراحة صاحب الشغل شديد قوي .

اصطنع وليد الجدية

– بمناسبة صاحب الشغل هو محكم رأيه إنه ينزل معاكي ، وإنت بتختاري ديكور الدورين .

– فيه جولة بكرة .

– ما ينفعش النهاردة ؟

– لا...بكرة .

– بعد الشروق .

– لا، بكرة ما فيش شروق أنا عندي شغل كتير ، وبعدين لازم أفتح الباب لعم سعد عشان يوضب البيت ، والجنينة ... هو بيجي الساعة ٩ يعني الساعة ١٠ نتقابل .

– شوفي أنا حا غمض عيني ، وإنت تخرجي بسرعة ، وأنا بكرة الساعة ١٠ حا أكون عند باب البيت.

قبل أن تدق الساعة العاشرة كان وليد أمام بوابة قصر مرام التي أسرعت بالخروج له ، فاندهشت من هيئته ، فقد تخلى تمامًا عن ملابسه الرسمية التي كانت تضفي عليه طابعًا من الجدية ، وارتدى بدلًا منها ملابس شبابية على أحدث الصيحات أظهرت ما يتمتع به من قوام ممشوق ، وبنية قوية ، وأظهرته بشكل أصغر سنًا .

أما مرام ، فقد حرصت على أناقتها ، واهتمت بكل التفاصيل بالنسبة لملابسها ، وتسريحة شعرها ، فارتدت بنطلون بني داكن ، وبلوفر أصفر اللون كما رفعت شعرها من أحد جانبيه ... بدت مرام في أروع صورها ، فوقع وليد في أسر سحرها الأخاذ ، وأطلق من عينيه سهام الحب لتحاصر مرام التي طوقها بنظرات كلها شوق وهيام ، فاشتعل وجه مرام خجلًا ، وحاولت الفرار من حصار وليد القوي لها بالتحدث بتلقائية

-أنت شكلك حلو قوي ، وصغير في الملابس الشيك دي أحسن من بدل سيادة النائب .

رد عليها وليد ، وهو يقتحمها بنظرات عينيه .

- ما فيش أحلى من سحر جمالك .

ارتجفت أوصال مرام من الخجل ، فأسرعت بركوب السيارة ، وبسرعة البرق كان وليد يقود السيارة متجهًا إلى الورش ، والمحلات التي أرادت مرام الذهاب إليها ، وعندما انتهيا من جولة العمل بدأت جولتهما الخاصة جدًا

كانا يتجولان في شوارع الإسكندرية ، وقطرات المطر تداعب وجهيهما، فيزدادان إشراقًا ... شعر كل من مرام ، ووليد بالمطر يغسلهما

من الداخل أيضًا ، فتخلى كل واحد منهما عن تحفظاته ليفتح كل منهما قلبه لصاحبه، ويحكي له عن كل شيء مر به في حياته ... لحظات الفرح، ولحظات الحزن التي تحولت فجأة إلى ضحكات ، فقد كان كل واحد منهما يحاول أن يزيل عن كاهل الآخر جبل من هموم وضعه الزمان عليه.

أخرج وليد كل أحزانه الدفينة ، وحكى لمرام عن الحيات الثلاثة، ثم حدثها عن الوفاة المفاجئة لصديقه عاطف .

– وقتها تأكدت إن كلام خالتي صح وأنا فعلًا نحس .

– يا سلام !! نحس عشان موت تلاتة بس .

رد عليها وليد ضاحكًا

– طبعًا نحس بالنسبة للناس العادية ، لكن ما فيش حد يقدر يقارن نفسه بالأميرة مرام ... إنت ضربتي الرقم القياسي .

– طبعًا يا بني أنا ما تقارنيش بحد ده أنا شخصية فوق العادة .

– فعلًا أنت ما لكيش زي ... أنا عمري ما تخيلت إن حا يجي اليوم إللي أتكلم فيه عن أحزاني بمنتهى البساطة دي .

ابتسمت مرام ، وشاركها وليد الابتسام ... ظلا يسيران ، ويتجولان في الشوارع ، والمطر يتزايد ، وهما يواصلان سيرهما ، وتتشابك يد وليد مع يد مرام ، والمطر يتزايد ، فتبدأ الضحكات ، وتتزايد لتملأ المدينة كلها بالسعادة ، والحب .... وتختفي كل مشاعر الألم من دفاتر ذكريات وليد، ومرام .

(١٠)

تفاءل وليد ومرام بالمطر الذي هطل على الإسكندرية ، ورغم غزارته ، فلم يمنعهما من أن يسرعا إلى الشاطئ عند الشروق ليقذفا بعملتي الأماني، ثم يرجعان سريعا لاستبدال ملابسهما، وفي موعد بداية العمل كان وليد ومرام في بهو الفندق ، وكأنهما على موعد ... كانا بالفعل على موعد مع زائر لم يكنا يتوقعان قدومه ... لقد كان فهمي السعيد هو الذي حضر للفندق ليتفقد ما تم انجازه هذا ما أعلنه ظاهريًا لكن في الحقيقة كان هناك هدف خفي لتلك الزيارة .

أظهر فهمي إعجابه الشديد بما تم انجازه ، وطبعًا كان نصيب مرام وافر من هذا الإعجاب ، وفي المساء دعا فهمي وليد ، ومرام ، وبعض كبار العاملين في الفندق لحفل شاي أعد على شرف مرام لما حققته من انجاز...كان بهو الفندق لم يتم الانتهاء من تجهيزه ، لكن كان من السهل تجهيز جزء فيه لإقامة حفل الشاي... وكانت مفاجأة الحفل حضور السيدة شاهيناز زوجة فهمي ،ووالدة مروان . ساد جو من المرح الحفل ...أظهر فهمي ، وزوجته إعجابهما الشديد بكل ما تم انجازه ... كانت شاهيناز تنتهز أي فرصة لتتحدث إلى مرام على حدة ... شعر وليد بالخوف المتزايد مما تفعله شاهيناز ، وأحس بأن هناك مؤامرة تحاك ضد

مرام ، فانقبض قلبه فزعًا ، وضاعف من توتره طلب شاهيناز العجيب بأن ترى قصر مرام

– أصل أنا بأحب كل الأشياء القديمة العريقة .

رد عليها فهمي باسمًا

– طبعًا العِرق يمد، ما شاهي من أصل تركي عريق .

ابتسم وليد ساخرًا ، ونظر لمرام التي فهمت نظراته ... وعند الشروق كانت شاهيناز هي محور حديث وليد .

– دي أخرتها تتفرج على المسلسلات التركي ، وتلاقي اسمها مش شاهيناز ، ولا حاجة هي بالكتير ست أبوها .

أطلقت مرام ضحكة صافية ، لكنها سرعان ما اختفت أمام وجه وليد العابث

– مرام خلي بالك من العيلة دي .

اندهشت مرام من كلام وليد ، وتساءلت

– ليه ؟!

– همه ناس كويسين ، لكن لما بيدخل في الشغل النعرات العائلية ، والرغبات المحمومة لتوريث الأبناء كل حاجة حتى لو كانت أعلى من قدراتهم وقتها ممكن الأهالى تعمل أي حاجة خطيرة ، ومدمرة ...

– إنت على طول كده حاطط مروان في دماغك .

– والله مروان ده شاب كويس ، لكن أهله عايزين يلبسوه بدلة واسعة جدًا عليه .

نظرت له مرام بمكر

– ده بس ؟!

– مرام ... مروان شخص فاسد أخلاقيًا ، وأهله بيفتخروا بفجره ، والصحافة على طول ورا نزواته مش عايزك تقفي معاه في أي مكان حتى ولا وسط الناس .

أدت له مرام التحية العسكرية

– تمام يا أفندم ...

صدق ظن وليد ، فقد فوجئت مرام بمحاصرة عجيبة تفرضها عائلة فهمي السعيد عليها ... شاهيناز تزورها لترى قصرها ، ولحظات ، وتجد مروان يأتي بحجة اصطحاب والدته إلى أحد الفنادق الكبرى لقضاء السهرة هناك ، وكان من الطبيعي إلحاح شاهيناز على مرام لمرافقتهما ، لكنها رفضت متحججة بالعمل ، وإنها مشغولة ، فرد عليها مروان

– ما علش نستأذن لك من صاحب الشغل مروان بيه .

تصنعت مرام الابتسام ، وودعتهما ، وهي تشعر بالضيق ، لكنها أقنعت نفسها بأن ما حدث شيء عابر ، وسرعان ما ستعود تلك العائلة إلى القاهرة، وهي لن تراهم مرة أخرى ، فنحت كل شيء جانبًا ، وذهبت للنوم.... أما وليد ، فلم يكن يستطيع النوم ،فقد كان قلبه ينقبض خوفًا على مرام ، ولم يدر سبب هذه الحالة ، ووسط توتره المتزايد جاءه اتصال من فهمي السعيد يدعوه لمرافقته والذهاب معه إلى أحد المطاعم الشهيرة لتناول العشاء ، وبحث موضوع مهم .

عندما التقى وليد بفهمي السعيد وجده يحدثه في أمور ليست ذات

أهمية مما أثار حيرته ، فانتبه فهمي لذلك ، وابتسم له

– آه ... طبعًا إنت منتظر أكلمك عن سبب دعوتي لك .

نظر له وليد باهتمام ...فأجابه بجدية

– مروان أخيرًا ربنا هداه ، واستجاب لدعواتنا له .

– خير ؟

– إنت عارف إن لك مكانة خاصة عشان كده إنت أول واحد يعرف إللي حصل .

أظهر وليد اهتمامه بما يقوله فهمي .

– مروان خلاص اختار البنت إللي حا تبقى شريكة حياته ... وشاهي دلوقتي عندها ، وإنت عارف شاهي لو حبِّت تجوز ابنها أميرة حا تجوزه... شاهي ما تحطش حاجة في دماغها إلا ، وتنفذها خصوصًا بالنسبة لابنها عشان كده أنا واثق إن أول فرح في الفندق حا يكون زفاف مروان ، ومرام.

كان لكلام فهمي وقع الصاعقة على وليد ، فارتبك بشده ، وكاد أن يسقط الطعام على ملابسه ... كان فهمي يراقب رد فعل وليد عن كثب ، وهو يدعي البلاهة ، وكأن ما يحدث شيء طبيعي .

لم يغمض لوليد جفنًا طوال الليل ، وحاول الاتصال بمرام ، لكن وجد هاتفها مغلقًا ، فظل يتقلب في فراشه ، وهو يلعن عائلة السعيد ، وكل أفرادها .

مع الشروق وجدت مرام وليد أمامها واقفًا أمام بوابة قصرها ، والإجهاد واضح عليه ، وكأنه قضى الليل كله أمام بابها ...كان وجهه مظلمًا ، وقد

اختفت ملامحه وسط طوفان الغضب المسيطر عليه .. ارتجفت مرام، وهي تري ألسنة لهيب الغضب المنطلقة من عيني وليد ، فتراجعت للخلف قليلًا، ووليد يدلف إلى حديقة منزلها بشكل أقرب للهجوم ... أمسك وليد بذراعي مرام ، وحدثها بحدة

– مرام، حصل إيه إمبارح ؟ شاهيناز عملت معاكي إيه ، ومروان كان موجود معاها ؟

أفزع وليد مرام ، فردت عليه بصوت مرتجف

– وليد حصل إيه ؟ ... إهدى، الست كانت عايزة تشوف البيت ، وقالت ده في حفلة الشاي ، ومروان مر عشان ياخد والدته .

اشتدت قبضة وليد على ذراعي مرام ، وأخذ يعنفها ، ويحدثها ، وهو يلهث ، والفزع يملأه

– إنت ملكي أنا ... أنا لوحدي ، وما فيش حد ممكن يخدك مني ... مش عشان أمه عايشة تبقى تجبله كل حاجة ... أبدًا إلا إنت ... إنت ملكي أنا ، وأنا ما ليش غيرك ... دول وحوش عايزين يخدوكي مني ، وأنا لا يمكن أسمح بكده مش حا أضعف ، وأسيبهم يدمروا حياتي مش حا أضعف .

ملأ الفزع عيني مرام ، فردت عليه وهي ترتجف

– وليد إنت عايز إيه ؟

جذبها وليد من ذراعيها ، وغرق معها في قبلة حارة ،أحست مرام بالنيران تشتعل في أوصالها ، وبدقات قلبها تسرع الخطى تتسابق مع أنفاسها اللاهثة ، فاكتسى وجهها باللون الأحمر ... ظلت مرام صامتة أمام

نظرات وليد المقتحمة لها ، وتصارعت داخلها مشاعر متناقضة ليسيطر الغضب عليها ... فكيف اندفعت ، وتورطت في علاقتها مع وليد إلى هذا الحد ...رأى وليد الغضب ينطلق من عيني مرام ، فحاول صده فأطلقت عيناه فيضانًا من مشاعر الحب ، لكن مرام كانت أسرع منه ، ورفعت يدها لتوجه له صفعة قوية ، وتركته ، وفرت هاربة .

(١١)

سيطر الغضب على مرام ، وشعرت بأن كل أفراد عائلتها يؤنبونها على ما فعلته ... لم تستطع الإنكار ، فهم يعرفون حقيقة ما حدث ،وهي لا يمكن أن تكذب عليهم ...لم تستطع مواجهتهم، ففرت من البيت ...كان صدرها يضيق من الغضب ، وتجد صعوبة في التنفس ، فأسرعت الخطى لترمي بنفسها في خضم عملها ، لكن ما أن اقتربت من الفندق حتى شعرت بجسدها كله يرتجف ، فوليد هناك ماذا تفعل ؟!...هل تتراجع ؟! ...إنه مستقبلها ، فماذا تفعل ؟!

ووسط حيرتها وجدت هاتفها يرن كان وليد هو من يتصل بها لم ترد عليه مرام في بادئ الأمر ، لكنه واصل اتصالاته ، فأغلقت هاتفها ... لم يكف وليد عن محاولاته ، لكن كلها باءت بالفشل ، فلم يجد وليد وسيلة سوى أن يذهب لمرام التي وجدها تعمل بجد ، ونشاط ، لكن ملامح الضيق ، والاضطراب كانت مسيطرة عليها .

شعر وليد بالأسف ، وكانت نظرات مرام له أشبه بالطعنات تدمي قلبه ، لكنه ما كان ليتركها للغضب يعصف بها ، فطلب منها بحزم أن تذهب معه إلى مكتبه لمناقشة أمر مهم ... كانت عينا وليد هما أول من بدأ الاعتذار ، وبصوت خافت

- آسف .

واجهته مرام بنظراتها الحادة ، فاضطرب قليلًا ، لكنه واصل اعتذاره

- أنا مش عارف إزاي اندفعت .... أنا أكيد ماكنتش في وعي ... لما فهمي كلمني إمبارح عن رغبة مروان في الارتباط بك ما أعرفش جرى لي إيه ... والله العظيم أنا آسف ، وماكنش قصدي أن أضايقك .

نظرت له مرام بحدة

- ما كنش قصدك ؟!

تنفس وليد بقوة ، ونظر لها والدموع تغزو عينيه

- مرام، لما تتملكنا مشاعر جارفة نفتكر إن إللي بنعزهم عندهم نفس المشاعر ، لكن أنا فعلًا اندفعت زيادة عن اللزوم ، ومستعد لأي ترضية المهم ما تزعليش مني .

نظرت له مرام بحدة

- الترضية الوحيدة هي إني مش عايزة أشوفك تاني .

غادرت مرام المكتب ، وأغلقت الباب خلفها بقوة ، وكأنها توجه صفعة أخرى له ، أم تراها كانت توجه تلك الصفعة لنفسها ؟

أدمى قلب وليد غضب مرام منه ، فانتظرها على الشاطئ وقت الغروب لعلَّ الشمس تكون شفيعة له، لكن مرام خذلته ، واختفت عن الشاطئ ... تضافر مع صد مرام لوليد الخطط الشيطانية التي وضعها فهمي السعيد، فقد وجد وليد فهمي يستدعيه على وجه السرعة ، ويطلب منه ضرورة السفر إلى دولة الإمارات لإنهاء بعض الأعمال الخاصة بالشركة هناك، والتي تواجه صعوبات كثيرة .

رغم عدم اقتناع وليد بأمر سفره ، لكنه لم يستطع الاعتذار أمام إصرار فهمي على ضرورة ذهابه إلى هناك ، وبسرعة البرق نشر مروان خبر سفر وليد ، ولفق مع الخبر عدة تفسيرات لهذا الخبر محورها أن سفر وليد ليس له أي مبرر إلا إذا كان وليد يرغب في الهروب من مسئوليات العمل ، وإنه يريد الحصول على إجازة ... كما سرت الشائعات بأن وليد خطط لرحلة طويلة ، وإن مدير الفندق هو الذي سيتولى مسئوليات وليد في متابعة أعمال المشروع .

كان مروان يعلم جيدًا تأثير مثل هذا الكلام على مرام ، فابتسم لنفسه ابتسامة شيطانية

« هكذا يختل توازن الصغيرة ، وتصبح فريسة سهلة للصياد الماهر».

أسرع مروان بالذهاب إلى مرام ليلقي بشباكه حولها ، فوجئ مروان عندما وجدها رابطة الجأش ، وفي قمة نشاطها ... حاول مروان إظهار إعجابه بمرام بأسلوب فج ، فواجهته بقوة ، وعنف ، وطلبت منه عدم الحضور لموقع العمل مرة أخرى

– معلش يا مروان بيه المكان كله على بعضه ، وأحسن لو تشوفه بعد ما ينتهي الشغل كله .

رغم وضوح رسالة مرام ، لكن مروان كان من الغرور بمكان بحيث لم يستوعبها ،لا هو ، ولا عائلته التي واصلت مخططها لتلف شباكها حول مرام ، ففي الظهيرة تلقت مرام دعوة من شاهيناز لترافق الأسرة على الغذاء... تعجبت مرام من تلك الدعوة الغريبة

« ما هذا ؟! من المفترض أن تحرص هذه العائلة على ألا أترك العمل

نهائيًا ، فوفقًا لما يدعونه هم في سباق مع الزمن ، وما هو سر هذه الصداقة العجيبة التي تريد شاهيناز أن تفرضها عليَّ ؟».

شعرت مرام بعدم الارتياح لكل ما يدور حولها ، فاعتذرت عن الدعوة لتفاجئ بمروان يتصل بها يلح عليها ، ويحاول إقناعها بأنها لن تتأخر عن عملها ، وهو سيأتي ليوصلها بسيارته إلى فيلا العائلة،وبعد الغذاء سيعود بها .... هنا بدأ القلق يتسرب إلى قلب مرام ، وشعرت بالارتياب في كل شيء ، فشددت من رفضها .... أحست مرام ، وكأن هناك شباكًا متينة تلف حولها ، وهي لا تستطيع الفرار منها .... شعرت مرام بصدرها يضيق ، ولحسن الحظ كان النهار قد أوشك على الرحيل ، فهربت مرام إلى الشاطئ لترمي بهمومها في البحر .

كانت مرام على ثقة من أنها لن ترى وليد ، فزاد شعورها بالضيق ، ولم تدر ما السبب وراء ذلك، ألم تكن هي التي طلبت ألا تراه ثانية ؟! ، فما الذي يجعلها حزينة ... حاولت مرام إنكار حزنها ، لكن كانت هناك دمعة ساخنة تترقرق في مقلتيها ، ومرام تبوح للشمس بكل أسرارها ، وتبحر معها بعيدًا ... بعيدًا علها تجد شاطئًا تشعر فيه بالأمان .

أعادها إلى أرض الواقع صوت محبب إلى قلبها كم تمنت سماعه ... في البداية ظنت أنها تحلم ، فلم تلتفت له أول الأمر ، ثم التفتت لتجد وليد أمامها ... تصنعت مرام الغضب ، واتجهت لمغادرة الشاطئ ... امسك وليد يدها ليوقفها

– مرام، للمرة المليون آسف ... أرجوكي أنا مسافر ، ومش عايز أمشي، وإنت زعلانة مني .

ازدادت حدة غضب مرام ، وأبعدت يدها عنه ، وتركته غاضبة ، والدماء تغلي في عروقها ، فسفره أصبح مؤكدًا ، ورنت في أذنيها كل القصص الملفقة عن عدم أهمية سفر وليد ، وإنه هو الذي رتب له ، والشائعات حول طول المدة التي سيقضيها هناك ...

أسرعت مرام تعدو نحو بيتها حتى إذا دلفت إليه ارتمت على الأريكة لتنفجر في بكاء حار، وهي تكيل اللعنات لوليد .

« شخص عابث حقير ... كان علي أن أفهم ذلك جيدًا ... طبيعي رجل مثله عنده المال ، والسلطان لماذا لم يتزوج حتى الآن ... بالطبع هو يحتقر النساء ، ولا ينظر إليهن إلا كمجرد وسيلة للتسلية ، وأنا بالنسبة له مضيعة للوقت ... آه يا قلبي لماذا تماديت معه ؟!... أنت تعلم أن الفراق هو قدرنا مع المخلصين ، فما بالك بالعابثين ؟!»

أصبح وليد على ثقة من أن مرام ترفضه بشدة ، فظل لفترة طويلة واقفًا أمام البحر يتأمله ، وهو يسأل نفسه

« لماذا يبتعد عني كل من أحبهم ؟! ... لماذا الفراق هو قدري دائمًا؟!... ماذا فعلت ؟! .... لقد قدمت لها مشاعري الفياضة ما ذنبي إن كان حبي لها كالبحر الهادر لم استطع مقاومته .... حقًّا لقد اندفعت في مشاعري ، لكنها ترفضني .... أيكون مروان هو السبب ... ولم لا؟ إن له صولاته ، وجولاته في عالم النساء ... ماذا يا وليد؟ هل أترك له الساحة ؟!

لم يدر وليد ماذا يفعل ؟ كان موعد الطائرة قد اقترب خاصة أنه سيستقلها من مطار القاهرة ، لكن وليد لم يهتم ، وأسرع يطرق باب مرام طرقًا شديدًا، ومتواصلًا .... فتحت له مرام الباب فزعة ، فبادرها بالسؤال

– مروان هو السبب ؟ .... إنت رفضتيني عشان قبلتي مروان ، لكن لازم تعرفي إن دي عيلة بتجري ورا مصلحتها ، وكل إللي بيفكروا فيه القصر بتاعك ، وبس .

نظرت له مرام ، والألم يعتصرها

-يعني أنا ميزتي الوحيدة هي القصر ؟

شعر وليد بالحرج الشديد ، وأطرق رأسه ، ونظر إلى الأرض ثم نظر إليها بعينين يملؤهما الحب ، وتحدث بصوت هامس

– مرام ... أنا ...

قاطعته مرام بصوت واهن

– إنت مسافر .... مع السلامة .

أغلقت مرام الباب في وجه وليد الذي شعر بنيران الحزن تكوي قلبه، لكن حزنه لم يدم طويلًا ، فقد تحول فجأة إلى بركان من الغضب ، فقد وجد مروان بجواره أمام باب مرام ... نظر له مروان بتشفي ، وكأنه عرف بما حدث ... وبنفس أسلوبه السخيف وجه مروان كلامه لوليد

– خير يا وليد هو مش المفروض إنك في طريقك للمطار إنت هنا ليه؟!... آه لو عايز حاجة من مرام بخصوص الشغل طبعًا يا ريت تعرفني... أصل إحنا خلاص في حكم المخطوبين ، وأنا جاي أعزمها على سهرة حلوة بالمناسبة دي .

نظر له وليد بحدة ، لكن مروان استمر في حديثه الاستفزازي

– بالمناسبة، إيه رأيك مش إحنا لايقين على بعض مرام ، ومروان ؟

انطلقت من عيني وليد الآلاف من ألسنة نيران الحقد ، والغضب ،

فأخذ يكيل اللكمات لمروان الذي حاول أن يدافع عن نفسه لكن دون جدوى ، فقد جسم وليد فوق صدره ، وأوسعه ضربًا ، وأخيرًا تمكن مروان من الفرار من أمام وليد الذي توعده بصوت أشبه بهدير الرعد

– والله لو حلمت بك بتكلم مرام لأكلك بسناني .

كانت مرام تتابع أصوات الشجار من خلف بابها ، ومشاعر السعادة تسيطر عليها ، وكم أنبت نفسها لسعادتها بما يحدث ، لكن الفرح رسم الابتسامة على وجهها ، ووليد يطلق تهديده العجيب لمروان...صعدت مرام إلى غرفتها ، وأغلقت الأنوار فقد كانت على ثقة من أن وليد لن يرحل إلا بعد أن يطمأن عليها ... صدق حدس مرام فقد كان وليد مازال في الحديقة ينظر إلى نافذة حجرة مرام حتى إذا أطمأن أنها ستخلد للنوم تركها لتنعم بأحلام سعيدة ، وأحكم إغلاق باب القصر الخارجي ، وعاد إلى الفندق ، وهو يسير بخطوات بطيئة مطأطأ الرأس يدعو الله أن ينتهي هذا الليل الطويل ، وفي الغد تشرق شمسه مرة أخرى .

(١٢)

آثرت مرام مشاكسة وليد ، فلم تذهب إلى الشاطئ وقت الشروق رغم أنها كانت على يقين من أنه لم يسافر ، وسيأتي إلى الشاطئ ...تملك الغضب وليد عندما أخلفت مرام موعدها مع الشمس ، وظن أنها مازالت على عنادها ، واختارت مروان ...أصر وليد على عدم الاستسلام ، فحتى إن كانت مرام ترفضه ، فهو لن يتركها لتقع في شباك هذا الحقير الذي ينصب لها فخًا ليستولي على قصرها .

«أمجنون مروان هذا ؟! .... أيريد أن يأخذ مني مرام ؟!.... أيريد أن ينتزع القلب مني ؟! .... اللعنة عليه هو ،ووالده ... والله لن أتركهم ينفذون خطتهم الشيطانية تلك ... حتى لو كلفني ذلك حياتي كلها».

ترك وليد الشاطئ ، واتجه إلى الفندق ، وهو عاقد العزم على مقاومة عائلة السعيد ، والانتصار عليهم ، فبدأ عمله بإصدار عدة قرارات كلها تتعلق بمروان في المرتبة الأولى ، وإن كان لم يذكر اسمه بشكل مباشر، فأصدر قرارًا يحذر تواجد أي شخص من أفراد الشركة في مواقع العمل بالفندق من غير الذين لهم حق الإشراف ، كما أصدر قرارًا بتقديم موعد تسليم الطابقين الخاصين ، وعلل ذلك بضرورة عمل «حفل بروفة» لهما.

ضاقت مرام ذرعًا بقرار وليد الثاني ، فذهبت إلى مكتبه ، والشرر يتطاير من عينيها ، وحدثته بحدة

– ممكن أعرف إيه السبب في قرارك المفاجئ بتقديم موعد تسليم الدورين ؟، وإيه حكاية عمل بروفة همه فساتين ؟!

تعمد وليد عدم النظر إلى مرام ، وتحدث ببرود

– المفروض إنك تاخدي ميعاد عشان أقابلك ، لكن معلش المرة دي ظروف الشغل حكمت كمان أنا زهقت ، ولازم ننتهي من الشغل بسرعة ، فالمفروض إننا حا نفتتح الفندق في أعياد الميلاد ، وقبل كده لازم نتأكد من الشغل ، لكن للأسف ما فيش لحضرتك عمل سابق ممكن من خلاله نحكم على شغل حضرتك .

أثارت كلمات وليد غضب مرام ، وغلت الدماء في عروقها ، فارتفعت نبرات صوتها

– وليد إنت ...

قاطعها وليد ، وتحدث معها بصوت ساخر

– آنسة مرام المفروض إنك تفرحي لما تسمعي القرار ده فكده تلاقي وقت كافي لتتفرغي لترتيبات فرحك ... آه نسيت أبارك لك على الخطوبة... مبروك .

نظرت له مرام بحدة ، وتنفست بقوة

– أف ... أف

ضاعفت مرام من ساعات عملها ، ورغم كم التعب الذي كانت تشعر به لكنها كانت قد عقدت العزم على الانتهاء من عملها حتى قبل الموعد

الذي حدده وليد. ...كانت مرام يحاصرها الإجهاد لكن السعادة كانت تملؤها ، وهي ترى عينيي وليد تراقباها وهي تعمل ، وهي واقفة علي الشاطئ ... حقًا كان وليد لا يتحدث معها ، ويكتفي فقط بإلقاء التحية ، لكنها كانت ترى الغيظ في عينيه فتزداد سعادتها ، وتعلو ابتسامة التشفي وجهها

« أحسن يا وليد أحسن ... هذا أفضل عقاب لك ... أتريد أن تسافر ، وتتركني أعاني آلام الفراق ... لتذق أنت أولًا آلام الهجر .... لكن ماذا عن مروان ، ووالده ؟... لا أظن أن فهمي السعيد سيترك ثأر ابنه ... آه يا وليد ماذا ينتظرك من هؤلاء الوحوش ؟ ! ماذا هل أصبحت أشفق عليه...لا... مطلقًا ... أنا أتمنى أن يذوق كل أشكال العذاب لتكن هذه هي أمنيتي لهذا اليوم .»

ملأت الابتسامات الماكرة وجه مرام عندما رأت كيف تلون وجه وليد، وهو يلمح مروان ، ووالده يدلفان إلى الفندق في الصباح الباكر ... أسرع وليد إلى الفندق ، وتبعته مرام التي أبطأت الخطى لترى ماذا يحدث ...

كان فهمي يتحدث إلى وليد بجدية ، وحدة إلى حد ما ...استطاعت مرام فهم الحوار الذي دار بينهما ، فقد كان حول عدم سفر وليد ، وفهمت منه أن وليد هو الذي ألغي سفره ، وبعث شخص آخر بدلًا منه رغم أن فهمي كان يريده هو الذي يسافر...ملأت السعادة مرام ، وكادت أن تطير من الفرح ، فقد أدركت كذب الشائعات التي روجها البعض حول وليد .

« آه! لقد ظلمته ... من المؤكد أن مروان هو من روج لمثل هذه الشائعات السخيفة ، والله يستحق ما فعله وليد معه».

رسمت البهجة لوحة من السعادة المطلقة على وجه مرام المشرق، فملأ الفرح الدنيا كلها من حولها وأنجزت جزءًا كبيرًا من عملها على أكمل وجه حتى إذا جاء موعد الغروب أسرعت إلى الشاطئ ... كان وليد يقف هناك، والرياح الشديدة تضربه ، وهو واقف كالتمثال لا يأبه بشيء. كان يرتدي حلة داكنة اللون ، ويضع كوفية حول رقبته ... ظلت مرام تتأمله لحظات ، وهو لا يظهر أنه شعر بقدومها ، وأخيرًا ألقت مرام عليه التحية ... لاحظ وليد أنها ترتدي ملابس خفيفة نوعًا ما عبارة عن بلوفر ، وبنطلون .

– هدومك دي مش خفيفة .

– لا إنت إللي معقدها زيادة .

– لكن إنت لازم تهتمي بصحتك ، إنت ما عندكيش وقت للتعب خلاص ميعاد خطوبتك قرب .

نظرت له مرام بحدة ، وتحدثت بقوة ، وبصوت عال بعض الشيء ، وظهر انفعالها في تحريكها ليدها أثناء الحديث

–وليد، أنا مش فاهمة إنت بتفكر إزاي ... ولا إنت عايز مني إيه ... كل شوية تألف قصة ، وتعيش فيها مرة متجوزة ، وجوزى ما عرفش إيه ، ومرة تانية مخطوبة ... هو على طول لازم يبقى فيه لهو خفي في القصة .

اتسعت عينا وليد من الدهشة

– يعني مروان ...

قاطعته مرام بحدة

– إيه مروان الغلس ده ، إنت مجنون أنا مرام.... الأميرة مرام يكون بيني ، وبين السخيف ده حاجة ...شوف للجنون حدود ، وإنت تجاوزت

كل حدودك ، والله العظيم لو إنت ...

قاطعها وليد بحدة

- أنا شفته ، وهو جايلك بالليل عشان تسهروا سوا .

استشاطت مرام غضبًا ، وارتجفت من شدة العصبية ، وارتفع صوتها

- وليد إنت شفتني فتحت له الباب ... إنت شفتني حتى كلمته ... يعني إيه أسهر معاه إنت فاكرني إيه؟

انطلقت نيران الغضب من عيني وليد

- إيه إللي جرأه عشان يجيلك بالليل ... بينك ، وبينه إيه ؟

- الزم حدودك ، واعتذر أنا مالي ، وماله .

حاول وليد أن يهدأ من روعه ، وأطلق ضحكة ساخرة

- فهمي كلمني عن خطوبتك إنت ، ومروان ... ومروان أكد كلام أبوه، وإنت فضلت ساكتة حتى مانفتيش أي حاجة ... ليه مش عارف .

ارتفع صوت مرام حتى أقترب من الصياح

- آه! هو المفروض إني أفسر لك كل تصرفاتي ليه يعني ؟

اتسعت عينا وليد من الغضب الممزوج بالدهشة

- مش عارفة ليه ؟

- لا مش عارفة .... الحاجة الوحيدة إللي عارفاها إنك كل شوية بتألف قصة عشان تلاقي حجة ، وتبعد عني ... ليه مش عارفة ... إنت ليه دايما عايز تلعب دور الشهيد إللي بيفقد كل الناس ... شوف يا وليد إنت اخترت الفراق ....

توقفت مرام عن الكلام فقد انهمرت الدموع شلالات من عينيها ، فأشاحت بوجهها عن وليد وفرت تعدو إلى بيتها ... ارتجف قلب وليد هلعًا على مرام ، فجرى خلفها حتى لحق بها عند بوابة منزلها ... أسرعت مرام تدلف إلى الحديقة ، فأمسك وليد بيدها ليستوقفها ... نظرت له مرام بحدة ، وابتلعت دموعها ، واستجمعت شجاعتها ، وأبعدت يديها عنه ... اقترب وليد منها قليلًا ..حاولت مرام صده ، وإبعاده عنها ، وهي تصيح

- ابعد ... إنت عايز تبعد ... ابعد ... في الأساس ما فيش حاجة بينا.

أمسك وليد يدها ، وأقترب منها أكثر ، وأكثر وهو يغرقها في بحر عينيه، وهمس لها

- بحبك .

ارتجفت كل أوصال مرام ، ودخلت دقات قلبها في سباق مع أنفاسها، ووليد يقترب منها ، وهمساته تشعل وجهها

- بحبك ... بحبك .

لتختفي الكلمات من على شفتي وليد اللتين استقرتا على شفتي مرام ليعبر لها عن شوقه للحياة التي منحته إياها ... أحس وليد بالأمان، والدفء يسريان في أوصاله ، فانتقل شعوره هذا لمرام التي تملكها الخجل، والاضطراب ، وغزت حبات العرق جبهتها رغم برودة الجو ، وسرعة الرياح التي كانت تداعب خصلات شعرها .

ظلت مرام صامتة ، ومثبتة في مكانها ، فقد كانت واقعة في أسر نظرات الحب الساحرة المنطلقة من عيني وليد ... عاد وليد لترديد همساته ، وهو قريب جدًا من مرام ، وهامته تكاد أن تلامس هامتها ....

- بحبك....بحبك .

كانت مرام شديدة الاضطراب ، وتلعثمت في الكلام

- أنا ...أنا ...

همس لها وليد

- بحبك .... ومش عايز غير حاجة واحدة إنك تسمحي لي أن أقولك بحبك ... كفاية إني أحبك ... أنا مش عايز أكتر من كده .

أطرقت مرام رأسها ، ونظرت إلى الأرض

- إيه الطمع ده يعني إنت عايز تستمتع بالمشاعر الجميلة لوحدك .

ابتسم وليد بمكر

- أفهم من كده ...

اشتعل وجه مرام بنيران الخجل ، فحاولت إخفاء اضطرابها بتغير مجرى الحديث

- آه! الشمس غربت ، وإحنا ما قلناش أي أمنية .

أمسك وليد يد مرام ، واتجها سويًا إلى الكورنيش ... أجلسها وليد على السور ، وظل واقفًا بجوارها يتأملها ، ويطوقها بنظراته .

- عارفة أنا من أول ما شفتك عندي أمنية واحدة بس .

وبتلقائية ردت مرام عليه

- آه ... وما ردتش تقولي عليها .

وقلدته بتهكم

- لما تتحقق حا تكوني أول إللي يعرفوا.

نظر لها وليد بعينين يملأهما الحب .

– ما هي تحققت خلاص .

نظرت له مرام بمكر

– قصدك إيه ؟

رد عليها وليد بصوت رخيم ، وهو يمسك بيدها

– مش عارف من أمتى ... يمكن من قبل ما أشوفك ، وأنا عندي أمنية واحدة إني أقولك بحبك .

صمت وليد لحظة .. ثم ابتسم بمكر

– حتى لو ضربتيني على وشي .

ابتسمت له مرام بخجل ، فرد على ابتسامتها بضحكة خفيفة ملأت وجهه بالسعادة ... رفع وليد يد مرام ، وقبلها بكل الحب الذي عرفه البشر منذ القدم ... اشتدت برودة الجو ، وزادت سرعة الرياح فخلع وليد «كوفيته» ، وطوق بها عنق مرام ... أحست مرام بالدفء يسري في أوصالها ، وضاعف من شعورها ابتسامة وليد الصافية لها

– مرام ما تزعليش مني أبدًا مهما قلت ، أو عملت .

– وليد، أنا عمري ما أزعل منك .

ملأت السعادة قلب وليد ، وأحس أنه ملك الدنيا كلها ، فأخذ مرام من يدها ليعدو معها على الكورنيش موزعًا فرحته على البحر ، والأمواج، والرياح لتمتلئ الدنيا بالسعادة ، وتتلألأ النجوم ضياءً لتشارك الحبيبين فرحتهما بالحياة .

(١٣)

انتظر وليد قدوم الشمس ، وانطلق يعدو نحو الشاطئ ما أن رأى مرام تشرق بوجهها عليه حتى أسرع إليها ، وأمسك بيديها ، وضمها بيديه ، وهو يطوقها بنظرات عينيه ، وابتسم لها

- إمبارح عشت حلم جميل كنت إنت بطلته .

ابتسمت مرام

- يا ريت كل الأحلام تكون جميلة كده .

- بحبك .

اشتدت سرعة الرياح ، وداعبت خصلات شعر مرام ، فشاركها وليد في مداعبة شعر مرام .

- تعرفي، أنا بأغير جدًّا من الهوا لما يداعب شعرك .

أطلقت مرام ضحكة صافية

- ليه أملاكك إللي بتغير عليها من الهوا لا يتلفها .

- لا... إنت الحياة الجميلة إللي كنت فاكر إن الوصول لها مستحيل ، وفجأة وجدتها بين أحضاني تفتكري وقتها ممكن أعمل إيه ، ولا إيه ؟!

أطلقت مرام ضحكة صافية

تضرب مروان لحد ما تعدمه العافية ..

نظر لها وليد بدهشة

– يعني إنت سمعتي الخناقة ، ولا علقتي ،ولا قلتي حاجة .

ردت عليه مرام بمكر طفولي .

– عارف دي الحاجة الوحيدة إللي خلتني أسامحك رغم أن ذنبك لا يغتفر .

ركع وليد على ركبتيه ، وأمسك بيدي مرام

– عفوًا...مولاتي الأميرة .

وضعت مرام يدها على رأس وليد

– عفونا عنك .

امتلأت الدنيا بضحكات وليد ، ومرام ، لكن لم يكن لديهما متسعًا من الوقت ، فقد كان على كاهلهما أعباء كثيرة، لكن حتى في أثناء العمل لم يكن وليد بعيد عن مرام ... كان يتحجج بأي شيء ليمر عليها ، ويظل يرمقها بنظرات عينيه ، وعندما يجد كل العيون تلاحظه يعود أدراجه لكن تظل صورة مرام تداعب خياله طوال الوقت ... وعند الغروب يلتقي الحبيبان .

فيسأل وليد مرام

– هو ده حلم ، ولا حقيقة ؟!

فترد عليه مرام بلمسة حانية من يدها على وجنته ، فيمسك بيدها ، ويقبل كفها ، وهو يردد لها كلمات الحب

- مرام أميرتي الساحرة وحشتيني ...وحشتيني ..

- يا سلام ما إحنا مع بعض طول الوقت تقريبًا .

- إنت بتوحشيني لما نبقى وسط الناس وحد غيري يكلمك أو إنت تبعيدي عيونك عني لحظة واحدة... مرام، أنا نفسي أفضل جنبك طول العمر ، وعيني ما تشوفش حد غيرك ، وأنسى كل الكلام غير كلمة بحبك.

توردت وجنتا مرام

- يعني نفضل على البحر طول الوقت .

كان الجو شديد البرودة ، والبحر هادر الأمواج ، والرياح عاصفة ... أطلق وليد ضحكة صافية

-في الجو ده ...لا طبعًا .

شاركته مرام الضحك

- نروح أحسن .

- لا، طبعًا... لكن الدنيا برد قوي ليجيلك برد .

تغيرت نبرات صوت وليد ، وتحدث بجدية .

- مرام ما تهمليش في نفسك أنا باخاف عليكي جدًا ... شوفي أحسن نروح على البيت ، ونقعد في الجنينة .

صمتت مرام ، فأمسك وليد بيدها ، وسارا معا حتى وصلا إلى حديقة منزل مرام

وأخيرًا تحدثت مرام بغضب طفولي

– إنت مرة مش واثق في قدراتي الهندسية ، ومرة خايف عليا من البرد.... هو أنا طفلة صغيرة ؟!

ابتسم لها وليد مشاكسًا

– إنت طفلة مدللة ...والكل بيسمع كلامك ، وأنا مش عارف حا أعمل إيه معاكي بعد الجواز ...أنا مش واخد على الدلع ... لكن أعمل إيه، لازم أخد دروس في فن التدليل .

اندهشت مرام من كلام وليد

– جواز !! إنت بتتكلم عن إيه ؟!

رد عليها وليد بحدة

– مرام ما فيش هزار في الموضوعات دي .

– هزار إيه ...إنت أول مرة تكلمني في الموضوع ده كمان هو إنت حتى طلبت إيدي .

ضم وليد يد مرام براحتيه

– مرام ... تسمحي تخلي أيدك سند لي طول العمر .

ملأت الدموع عيني مرام ، ففهم وليد كل مشاعرها ، فضمها إلى صدره، وحدثها بصوت رخيم

–ليكن قلبي هو كل عائلتك، إن فكرت في يوم في الإساءة لك يتركني أموت .

وضعت مرام رأس وليد بين راحتيها ، والدموع كانت مازالت تتلألأ في مقلتيها .

- وليد، إوعى تجيب سيرة الموت مرة تانية وإلا والله ما عرفكش العمر كله .

نظر لها وليد بعتاب

- أهون عليكي ؟

وبمكر طفولي ردت مرام عليه

- إنت شايف إيه ؟

اقترب وليد منها ، وهو يهمس لها

- أنا شايف إني بحبك ... بحبك ... وإنت حياتي كلها ... وعمري باحسبه باللحظات إللي باقضيها جنبك .

ظل وليد يقترب أكثر ، وأكثر من مرام يطوقها بمشاعره الفياضة التي تنطلق من عينيه ،فتشعر مرام بالدفء يسري في أوصالها ، ووليد يقترب منها ، ويقترب ليقبلها بشوق كل سنوات الحرمان التي عاشها بدونها ، فتغرق مرام معه في بحار من عشق كم تمنيا أن يغرقا فيها سويًا ...

وكأن الدنيا كلها قد خلقت لهما ، فنسيا ما بها من شرور ، ولم يريا غير الحب ، والخير في كل ما يحيط بهما ... الحديقة ازدهرت أشجارها، والبحر تخلى عن مزاجه المتقلب لينصت في هدوء لهمس العاشقين ، لكن القصر احتج عظيم الاحتجاج على اندفاع مرام التي شعرت بثورة جدرانه عليها ، فارتجفت خائفة ، وتلفتت حولها .

ابتسم وليد لها ، وهو يرى الفزع في عينيها ... فحدثها هامسًا

- بكرة نبدأ كل ترتيبات الجواز ، وقتها كل حاجة حا تختلف .

أوصل وليد مرام إلى باب المنزل ، وظل في الحديقة حتى تأكد من أنها

صعدت إلى حجرتها ، وأغلقت الأنوار لتنام ، فغادر القصر بعد أن أحكم إغلاق باب الحديقة ... سار وليد في الشوارع ، وهو يشعر بسعادة كافية بأن تملأ الكون كله ، فتلألأت عيناه بشعاع الحب ، وأضاء وجه نور ساحر لا يعرف أحد سره سوى المحبين ، فاسودت وجوه عائلة السعيد عندما وصلها الخبر اليقين ، وأصر فهمي على أن يصيب وليد في مقتل ، ويطعنه بخنجر الشك اللعين .

(١٤)

وكأن السماء قد غضبت من مؤامرات الجبناء ، فانقلب الطقس، وأسرعت الرياح ، وعم البحر الأمواج الهادرة ، وأغرقت السحب الإسكندرية بالأمطار الغزيرة ... عجز العاشقان عن لقاء الشمس التي حجبتها الغيوم ، فاتصل وليد بمرام ليطمأن عليها .

– طب حا تلبسي إيه ؟ شوفي لازم تاخدي جاكت ، وكوفية ، وتلبسي بلوفر تقيل .

ضحكت مرام

– واخد البطانية معايا كمان ... وليد أنا عديت التلاتين .

– إنت طفلتي المدللة .

– ماشي حا البس الكوفية بتاعتك .

– بجد ... كده أنا حا أغير منها .

– وليد أنا حاسة إنك بتغير من حاجات عجيبة .

صمت وليد قليلًا ، وتحدث بصوت هادئ

– مرام، أنا بأغير من نفسي ، وأنا معاكي .

ردت عليه مرام ، وهي تبتسم .

- خلاص، اضرب نفسك زي ما عملت مع مروان .

احتد وليد

- إيه صعبان عليكي ؟!

- أبدًا ، لكن كل ما أفتكر العلقة إللي خادها أضحك قوي أصله غلس ويستاهل ... حد يتجرأ ويروح لواحدة بيتها فعلًا يستحق الضرب .

رد عليها وليد بمكر

- أفهم من كده إن لي مكانة خاصة من أول يوم .

احتدت مرام

- وليد مع السلامة إحنا إتأحرنا .

عانق وليد هاتفه ، وهو يغلقه ، ثم استعد لمقابلة مرام في بهو الفندق... اكتفي كل من وليد ، ومرام بتبادل نظرات الحب التي لم تكن خافية عن الجميع ، فامتلأ المكان بالبهجة ، وعمت الفرحة القلوب الطيبة ... على الجانب الآخر أشعلت هذه النظرات النيران في قلب فهمي السعيد الذي كان قد حضر إلى الفندق ليتفقد التجهيزات النهائية ...

أظهر فهمي إعجابه بما يتم انجازه خاصة بالنسبة لما تقوم به مرام ... عقد فهمي اجتماعًا ثلاثيًا مع وليد ، ومرام استعرضوا خلاله كل ما تم بشأن الطابقين ، وفكرة وليد بعمل بروفة لافتتاح الطابقين أوكل فهمي لوليد حضور البروفة بدلًا منه بحجة أنه مضطر للسفر إلى القاهرة سريعًا .

استمرت مرام تواصل الليل بالنهار ، فموعد البروفة قد اقترب إضافة إلى أن موعدها مع الشمس قد تأجل لسوء الأحوال الجوية ، فلم يعد أمامها غير الرد على مكالمات وليد التي لا تنتهي ... تجيبه أحيانًا باقتضاب،

وأحيانًا كثيرة تسترسل في الحديث ، لكن وليد لم تكن تكفيه المكالمات ، فكان دائما ما يتحجج ليرى مرام ، وهي تعمل ، ويظل يراقبها لفترة ، فيزداد شوقه إليها ، فيفر هاربًا ليحدثها في الهاتف ...

مر يومان ، والأحوال الجوية لا تتحسن ، فلم يستطع وليد صبرًا، وخرج من الفندق وسط الأمطار الغزيرة ، واتجه إلى بيت مرام يطرق بابها... فتحت له مرام لتجده ، وقد ابتلت ملابسه تمامًا بالمياه ... شعرت مرام وقتها باضطراب شديد ، وكأن كل أفراد أسرتها يسألونها « من يطرق الباب في مثل هذه الساعة من الليلة المطيرة؟!»

شعر وليد باضطراب مرام ، لكنه طوقها بنظرات عينيه ... لم يجد في كل لغات الدنيا كلها كلمات تعبر عن شوقه ، ولهفته لها ، فظل صامتًا ، وتبادلت عيناه وعينا مرام الهمسات

- أحبك .

- أحبك .

ودون أن ينطق كلاهما بكلمة ترك وليد مرام ، وعاد إلى حجرته بالفندق ، كما صعدت مرام إلى حجرتها استلقي كل منهما على سريره، وضم وسادته إلى قلبه ، وغرقا في ثبات عميق .

في اليوم التالي بدأت الأحوال الجوية في التحسن ، فاستبشرت مرام خيرًا ، فاليوم ستنتهي من وضع اللمسات الأخيرة لديكور الطابقين ، وفي المساء سيقام بروفة حفل الافتتاح بحضور وليد الذي اتصل بمرام ليطمئن عليها ، فردت عليه بسعادة :

- وليد، الجو حلو النهارده، إيه رأيك؟...

قاطعها وليد

- لا ... ما فيش بحر بطلي اندفاع .

- مش أحسن من المطرة إللى غرقتك .

- مرام أنا عندي تجيلي كل الأمراض إللي في الدنيا وإنت ...

قاطعته مرام بقلق

- وليد بلاش تجيب سيرة المرض أبدًا .

أبدى وليد طاعته لمرام ، وطلب منها أن تتعجل بالحضور ليراها في بهو الفندق حتى يتمكن من أن يبدأ يومه بعد أن تشرق الشمس عليه ... همست له شمسه لتؤكد على موعد المساء موعد بروفة افتتاح الطابقين... طار وليد من السعادة ، وهو يتفق مع مرام على ضرورة أن يستعدا عظيم الاستعداد لهذا الحفل ... أعد كل من وليد ، ومرام خطة للطريقة التي سيستعد كل منهما بها لهذا الحفل ، ولم يخبر أحدهما الآخر بها لتكون مفاجأة ، لكن كان هناك من يعد مفاجأة أخرى لهما ... لقد كان فهمي السعيد يحيك المؤامرات ، وينتظر يوم الاحتفال ليوجه ضربته القاضية إلى وليد .

كان فهمي قد بدأ خطته قبل أن يغادر الإسكندرية ، فزرع كم من العيون لمراقبة مرام ، ووليد ، وعندما وصل إلى القاهرة أمر بإحضار ملف وليد الخاص ، وراجع كل تاريخه في الشركة ، كما أجرى تحريات عن علاقات وليد الشخصية ، ورغم أنه لم يجد أي شائبة تدين وليد ، أو يمكن استغلالها ضده ، فقد ضحك ملء شدقيه ، وهو يقلب ملف وليد

- لو كان وليد ما فهوش عيب نجيب له العيب .

كان الجميع يعرف العلاقة الفاترة بين وليد ، ووالده فيكفي متابعة أي خبر عن الدكتور فكري الحسيني، حيث أيمن ابن زوجته بجواره دائمًا ، في حين أن وليد بعيد كل البعد عن الصورة ... وجد فهمي تلك العلاقة هي الورقة الرابحة التي سيلعب بها ، فاتصل بالدكتور فكري يدعوه لبروفة حفل افتتاح الطابقين الخاصين في الفندق ، وعلل تلك الدعوة بأنهم بصدد أخذ آراء الشخصيات العامة من علية القوم ... رحب الدكتور فكري بالدعوة خاصة أنه وجدها فرصة سانحة لتقديم شيء خاص لابنه علَّه يذيب جبل الجليد الذي يفصل بينهما .

اتسعت عينا فهمي من الفرح ، فقد استطاع خداع والد وليد ، وجعله ينساق في تنفيذ مخططه الشيطاني ، فاستطرد في شكره ، وأذهب بعد ذلك في مدح وليد ، ولفق العديد من القصص حول ما ينتظر وليد من مستقبل باسم في الشركة ... كان فكري يستمع إلى ما يقوله فهمي عن ابنه ، فيملؤه الزهو ، والفخر بابنه الوحيد ، وابتسم لنفسه

« آه ... هذا الشبل من ذاك الأسد».

(١٥)

وجاء المساء ، والجميع يستعد لبروفة افتتاح الطابقين من يحمل ورود الحب ، ومن يزرع أشواك الحقد ... الكل يستعد ، وينتظر النتيجة .

كان وليد هو أول الحاضرين جاء ، وقد ارتدى ملابس سهرة كلاسيكية، وكأنه أحد أبطال أربعينيات القرن الماضي بكل ملامح أبطال هذا الزمن من وسامة ، ورقي ، وقوام قوي ، وممشوق ... لحظات وحضرت مرام أميرة متوجة ترتدي ثوبًا أزرق اللون يظهر جمال بشرتها البيضاء ، وقد رفعت شعرها من جانبيه ، فبدا وجهها كالبدر المنير مد وليد يده لتعانق يد مرام ليصطحبها إلى قاعة الاحتفالات التي كانت ، وكأنها خرجت للتوّ من أحد الأفلام القديمة التي كانت تصور ما يتسم به هذا العصر من عز ، وبذخ ، ورقي .

نظر وليد إلى البيانو الموضوع في أحد الأركان ، فاتجه مباشرة إليه ليعزف لمرام مقطوعة موسيقية قديمة شديدة الرومانسية ..انحنت مرام على البيانو ، ووليد يعزف ، وسبحت بعيدًا مع نغمات الموسيقى ... كان وليد يتأملها ، فغرق في بحر عينيها ... أنهى وليد العزف ، وهو يهمس لمرام

– كل حاجة روعة أكتر من روعة أكيد أنا ركبت آلة الزمن ، ونزلت في

أحد القصور الملكية ، وفي حضرة أميرة القصر رائعة الجمال .

وقف وليد في مواجهة مرام التي لم تستطع الكلام أو التحرك فقد كانت واقعة في أسر عيني وليد... لم تدر مرام كم مر من الوقت ، لكنها استطاعت أخيرًا أن تفر من أسر وليد ، وتحدثت باضطراب

- الديكور ... الديكور فعلًا عجبك .

- أنا عمري ما شكيت لحظة في إنك رائعة في كل حاجة تعمليها .

اندهشت مرام

- إنت مش ...

قاطعها وليد

- تفتكري الدكتور حسن كان ممكن يترك ديكور الدورين ...

نظرت له مرام بضجر طفولي .

- إنت مخادع .

اقترب وليد من مرام أكثر ، وأكثر ، وهمس لها

- كان ممكن أترك قلبي ، وروحي ، وحياتي يكونوا بعيدًا عني ؟!.... كان ينفع ؟!

اضطربت مرام ، شعرت بالخجل

- وليد إيه كل ده .

- طبعًا يا طفلتي المدللة .

- على فكرة إنت أكتر واحد بيدلعني .

- دي شهادة أعتز بها يا أميرتي الجميلة ...

صمت وليد برهة ثم سألها

- فيه موسيقى ؟

أومأت مرام رأسها بالإيجاب

- فالس .

- كله بدايات القرن الماضي إنت فعلًا عبقرية في التفاصيل .

وعلى أنغام موسيقى الفالس أخذ وليد مرام بين ذراعيه ، ودخل معها في آلة الزمن ليرجعا معًا إلى بدايات القرن الماضي ، وبصوت رخيم حدثها وليد

- وأنا صغير كانت ماما دايما بتحكي لي قصة سندريلا .

تبادل وليد ومرام الابتسامات

- كانت بتتنبأ بإللي حا يحصل لابنها .

- ما تتصوريش الحكاية دي أثرت على حياتي إزاي .

دخلت مرام معه عالم الحكايات ، وتحدثت بصوت خافت ، وسألته بشغف طفولي

- إزاي ؟

- كان كل ما أتعرض لظلم أو ضيق أحلم بجنية الأماني إللي حا تيجي، وتحقق لي كل الأمنيات .

- وجت ؟!

- لما كبرت نسيت الحكاية لحد ما شفت أميرة مدللة واقفة على الشط بترمي بعملة الأماني ... وقتها كنتِ حلمًا مستحيلًا .

أطلقت مرام ضحكة خفيفة

- عشان جوزي الخفي .

رد عليها وليد باسمًا

- يعني كان فيها إيه لو كنت قلتي لي مودموذيل يا بغلة .

تبادل وليد ، ومرام الضحكات ثم صمتا ، وسبح كل منهما في بحر عيني الآخر ... كانت نغمات الموسيقى قد توقفت لكن ظلت مرام بين ذراعي وليد ، وأسيرة لسهام الحب المنطلقة من عينيه... اقترب وليد أكثر، وأكثر من مرام ليضمها إلى صدره لتستمع لدقات قلبه المتيم بعشقها ... غارت شفتاه من قلبه ، فأسرعت تشي إلى شفتي مرام بكل ما يخفيه قلبه من عشق لها ، لم يكن قلب مرام أقل عشقًا من قلب وليد ، فقصته معه طويلة هي الأخرى .

في أحد أركان القاعة كانت هناك عينان تراقبان الحبيبين منذ فترة ليست بالقصيرة ، لكن هكذا المحبون دائمًا لا يشعرون إلا بنبضات قلوبهم ، فظل الدكتور فكري يراقب ابنه ، والسعادة تملؤه ، فأخيرًا عرف ابنه الحب .

لم يستطع الدكتور فكري أن يستمر في مراقبته طويلًا ، فخرج بعض الوقت ، ثم عاد ، وهو يطرق على الباب حتى ينتبه المحبان ... شعرت مرام بالخجل الشديد ، لكن وليد عالج الموقف سريعًا ، واستقبل والده بترحاب شديد ، وفرد ذراعيه معانقًا إياه ، فاقت سعادة الدكتور فكري الحدود ، فابنه عاد إلى أحضانه مرة ثانية .

قدم وليد مرام إلى والده على أنها خطيبته ... كانت مرام ما تزال مضطربة ، ووجنتيها مشتعلة من حمرة الخجل ، لكن الدكتور فكري رفع

عنها الحرج بترحيبه الشديد لها ، ومباركته لخطبتهما

– شوفوا أنا عديت موضوع الخطوبة، لكن الفرح أنا إللي حا أعمله .. حا أعملكم أكبر فرح في مصر كلها .

أبدى وليد سعادته بفكرة الفرح ، لكنه طلب أن يكون في أسرع وقت مما زاد من حدة خجل مرام ، فحاول وليد رفع الحرج عنها ، واصطحب والده ليريه المكان ، والديكورات الجميلة التي أبدعتها مرام ...

كان لقاء الأحباب ليس هو الهدف من خطة فهمي ، فكان لابد من أن ينفرد فكري بمرام ، وما أسهل من إتمام هذه الخطوة ، فقد طلب مدير الفندق من وليد الحضور بسرعة لمناقشة أمر مهم ، وهكذا انفرد الدكتور فكري بمرام ... أبدى فكري إعجابه بمرام ، وذوقها ، ثم سألها بعض الأسئلة عن حياتها الشخصية ... حكت له مرام قصتها بكل صراحة ، ودون حرج ... شعر فكري بالأسى عليها، وتعاطف معها ، لكن رنة الحزن في صوته سرعان ما اختفت أمام تلقائية مرام ، وبساطتها غير فكري مجرى الكلام ، وتحدث عن وليد لكنه لم يجد الكثير لديه ليحدثها عنه ... تذكر فكري القصص التي لفقها فهمي عن ابنه فأخبر مرام بها

– تعرفي وليد داخل على نقلة كبيرة في شغله ... هو طبعًا واصل إلى مرتبة عالية قوي كمان هو وارث مبالغ كبيرة من والدته إضافة إلى إنه ابني، وكل إللي عندي له

ابتسمت مرام

– ربنا يديلك طولة العمر .

– حتى وأنا عايش كل فلوسي لابني ، وليد ده وحيدي، يمكن ما بنشفش

بعض كتير لكن كل أخباره عندي ... عارفة ده دخل خلاص من بوابة كبار رجال الأعمال مش بعيد نلاقي عنده فيلا في المنصورية قريب .

اندهشت مرام مما يقوله الدكتور فكري

- إزاي ؟

- أبدًا ... أنا عرفت من فهمي بيه إنه فرحان قوي بإللي بيقوم به وليد في الشركة ده ماشي في صفقة عمره ...حا يتمم صفقة شرا قصر كبير في جليم عشان يبقى ملحق للفندق ... الصفقة كان فيها مشاكل ،لكن وليد بشطارته حا يخلص الصفقة بشرط إنه يبقى له نسبة في الفندق ، ويمسك بعد كده فرع الشركة في الإمارات ... دي بلد جميلة ، وحا تنبسطوا فيها قوي ... ربنا يسعدكم .

وجمت مرام مما سمعته ، وظنت أنها في كابوس ، وأحست بدوار ، فأمسكت برأسها .. لاحظ فكري ما ألمَّ بها

- فيه حاجة يا بنتي ؟

- لا... أبدًا.

عاد وليد إلى القاعة ، ووجه يتلألأ من الفرح ... اتجه إلى والده ، ومرام

- خير يا بابا شكلك كده انسجمت مع مرام ... هي كده كفاية خمس دقايق عشان تقع في أسير سحرها.

تبادل وليد الضحكات

- معاك حق .

لاحظ وليد وجه مرام الشاحب

- إيه، مالك يا مرام؟

- أبدًا تعبانة شوية .

ابتسم لها وليد بكل الحب

- إنت فعلًا تعبتي قوي ، وتستحقي الراحة حا أسيبك تستريحي .

أراد وليد أن يوصل مرام إلى منزلها ، لكنها رفضت بشدة بحجة أنه يجب أن يكون مع والده ، وأخبرته أنها ستنام مباشرة .

كانت السعادة تملأ وليد ، وجعلته شخصًا مختلفًا ، فعانق والده بكل الفرح ، والحب ، وظلا معا طوال الليل يتحدثان عن مرام ، وكيف وقع وليد أسيرًا لهواها ...أما مرام فقد عجزت تمامًا عن التفكير ، وأسرعت لتفر إلى النوم .

في الفجر ودع الدكتور فكري ابنه متمنيا له السعادة ، وعاد إلى القاهرة، أما وليد فقد قاده قلبه إلى الشاطئ ليجد جنية الأماني تقف على الشاطئ واجمة منهكة القوى تمتلئ عيناها بالدموع ... تملك الفزع وليد ، وضاعف من فزعه استقبالها البارد له .

-خير يا مرام ؟ إيه إللي جرى ؟!

نظرت له مرام بعينين كلهما اتهام ، فازدادت حيرة وليد

-مرام ريحيني الله يخليكي .

واجهته مرام بتحد

-أبوك إمبارح قالي على كل حاجة .

تعجب وليد من موقفها

-عادي ، وإيه الجديد .

-فعلًا إيه الجديد ما إنت من الأول بتساومني على بيع القصر ، وقلت لي صراحة إن ميزتي الوحيدة هي القصر .

نظر لها وليد بحيرة .

- مرام إيه جاب سيرة القصر دلوقتي ما الموضوع ده انتهينا منه نهائي.

- نهائي ... نهائي ... معلش والدك وبتلقائية شديدة حكى لي عن اتفاقك إنت وفهمي السعيد .

- اتفاق إيه ؟!

وبنظرات حادة ردت عليه

- صفقة بيع القصر إللي حا تخلصها ، ونسبتك في الفندق ، واستلامك إدارة الشركة في الأمارات .

- وإنت صدقتي إني حقير للدرجة دي ؟!

شعرت مرام باضطراب ، وخفضت صوتها

- لو كنت صدقت ما كنتش كلمتك .

- لكن شكيتي .

- ده أبوك .

امتلأت عينا وليد بالدموع

- وأنا معاه على طول ، وبقوله كل أسراري ؟!

نظرت له مرام بحيرة

- يعني لو فهمي هو إللي ورا كل ده ... ما إنت النايب بتاعه ... وليد

إنت حياتك كلها في شركة في القاهرة ، وأصحابها عايزين بيتي بشراسة، وجبروت ، وأنا لا يمكن أسيب جليم أنا عارفة إني مجنونة ، لكن أنا لو سبت البيت يبقى أهلي ماتوا وقتها أنا حا أتجنن بجد ... أنا دايمًا حاسة بيهم معايا ... وليد ...

قاطعها وليد بحدة ، وهو يمسك بذراعيها

– مرام إنت سبق ، وقلت لي إني بأختار الفراق دايمًا ، لكن الحقيقة هي العكس إنت إللي بتلاقي متعتك الحقيقية في فراق إللي بتحبيهم أو بمعني أصح إللي بيحبوكي ... مرام إنت عايزة تلاقي حجة عشان نفترق ، ولو كنت واثقة أو حتى شاكة إني بارسم عليكي كان يبقى معاكي حق ... لك إنت عايزة تعيشي مأساة ، وخلاص .

– مش ده شغلك إللي إنت حاطه على قائمة أولوياتك ... قُلِّي حا تعمل إيه فيه؟!... طب لو كان فعلًا فهمي كداب ، ومروان إنسان حقير، ودي عيلة سيئة زي ما إنت دايمًا بتوصفهم ليه إنت معاهم ، وليه إنت واقف في صفهم ... همه دلوقتي أعلنوا موقفهم إنهم لسه عايزين القصر ، وبيستخدموك... إنت عايز إيه ؟

نظر لها وليد بحدة

– المهم إنت عايزة إيه ؟.... إنت عايزة الفراق ، وده أسهل حل عندك.

تركها وليد تقف وحيدة على الشاطئ تبتلع دموعها ، وهي تسأل نفسها

« هل كنت قاسية مع وليد ؟ هل هو حقًّا ضحية مؤامرة لفهمي السعيد؟

إن كان الأمر كذلك فلماذا لا يواجهه ؟ ولماذا يستمر معه ، وهو يعلم كل العلم إنه عدو لي ؟....آه يا وليد لو تعلم كم أحبك ، لكنك تخذلني لماذا؟!... لماذا لا توضح الأمر لي ... آه يا وليد هكذا تتركني أعاني آلام الفراق ، ولا تمد يدك لإنقاذي من دوامة الحيرة ، والشك ... آه ما أقساك!!.»

عاد وليد إلى القاهرة ... كان طول الطريق يفكر فيما حدث

«لماذا تشك مرام في حبي لها ؟!...معها حق إنه والدي الذي أخبرها بالقصة أي شخص سيفعل مثلها ... أب يفتخر بأن ابنه محتال ، لكن لماذا يفعل والدي معي ما فعله؟ ألم يكفه ما عانيت في دنيتي بسببه ، وها هو يكمل الطريق الذي بدأه منذ زمن طويل ، ويبعد أحبابي عني ، لكن لماذا يا مرام تكونين مثل الآخرين ؟! آه يا مرام لقد اخترت الفراق ، ولك ما اخترتيه».

كان وليد على يقين من أن فهمي السعيد هو من دبر تلك المؤامرة ، لكنه رأى أن الأمر يحتاج إلى الهدوء التام ، فاتصل بوالده ، وحدثه بهدوء، وعرف منه أبعاد المؤامرة كاملة ، فرسم خطة متكاملة لمواجهة فهمي السعيد .

جمع وليد كل متعلقاته بالشركة ، وطلب اجتماع لمجلس الإدارة قدم فيه استقالة مسببة شرح فيها أبعاد المؤامرة التي يحيكها فهمي لتوريث مروان إدارة الشركة، وأعمال البلطجة التي يقوم بها ذلك الوريث، ومباركة الأب لبلطجة ابنه .

لم يحتج وليد جهدًا كبيرًا لتسريب الخبر لوسائل الإعلام، وبذلك وقعت عائلة السعيد في موقف حرج جدًا كان من الصعب الخروج منه أمام حالة الهياج التي اندلعت ضد العائلة ، ووريثها السخيف .

وعلى شاطئ جليم في وقت الغروب وقفت مرام وحيدة وفي يدها عملة الأماني تهمس لها بأحلامها المستحيلة ، فقد كانت على يقين من أن وليد اختار الفراق، وأي حلم بشأنه لابد أن يكون مستحيلًا

«آه يا وليد لماذا تركتني ؟! لماذا اخترت الفراق ؟!»

رفعت مرام يدها لتقذف بعملة الأماني لتجد يد حانية تعرفها جيدًا تمسك بيدها قبل أن تقذف بالعملة...اندهشت مرام عندما رأت وليد، وظنت أنها واهمة ، لكنه كان وليد حقيقة ، وليس وهمًا أو ضربًا من ضروب الخيال ... أمسك وليد بيدها ، وأخذ منها العملة

- الأحلام المستحيلة ممكن نتقاسمها سوا .

أومأت مرام رأسها بالإيجاب ... همس وليد للعملة بأحلامه ، وقذف بها في البحر ... ظلت مرام صامتة تتبادل النظرات مع وليد ، ثم همست له باضطراب

- إنت هنا ليه ... إنت حلم ... إنت رجعت ولا ...

قاطعها وليد ، وهو يشير لها بأن تكف عن الكلام ، وتحدث هو بصوت هادئ

- إنت اتهمتيني بإني طمعان في قصرك .

قاطعته مرام باضطراب ، وخجل

- أبدًا...أنا ...

- سبيني أكمل كلامي لو سمحت ... إنت صح، أنا فعلًا طمعان في القصر .

اتسعت عينا مرام من الدهشة

- إزاي ؟!

اقتحمها وليد بنظراته ، فزاد من اضطرابها

- ومش القصر ،وبس لكن مكتبك كمان ، ونفوذك في الإسكندرية ، واسمك ، واسم عيلتك ... شوفي أنا طمعان في كل حاجة تخصك ...

أمسك وليد ساعدي مرام برقة ، وحدثها بصوت رخيم ، وعيناه تحاصرانها بسهام الحب

- أنا دلوقتي متشرد يعني لا وظيفة ، وأنا أصلًا ما عنديش بيت ، وكنت دايمًا ساكن في شقق مفروشة ، فخلاص ما عنديش غيرك ... متشرد ، وبلطجي ، وحا خد كل حاجة .

نظرت له مرام ، وابتسامة السعادة تملأ وجهها

- يعني مش حا تجيب لي أي حاجة ، ولا حتى الشبكة .

- يعني المتشردين أمثالي ممكن يجيبوا إيه ؟!... أي حاجة يلاقوها ، ويدوها شبكة لعرايسهم .

التفت وليد إلى البحر ، واتجه إليه ، ومرام تتبعه ، ثم انحنى ، ومد يده في مياه البحر ، وأخرج محارًا كبيرًا قدمه لمرام ... كان المحار مغلقًا ، وعندما فتحته وجدت به خاتمًا من الألماس يتميز بالصياغة القديمة .

طارت مرام من السعادة عندما رأت الخاتم ... أمسك وليد بيدها ليلبسها إياه .

– البحر ده له فضل كبير علينا كام مرة همست له بحبي لك عشان كده كان لازم شبكتنا تكون هدية منه .

نظرت مرام لوليد بخجل ، فقد تذكرت ما فعلته معه

– وليد أنا آسفة ... والله أنا عمري ما شكيت فيك ، لكن كنت متلخبطة... وليد أنا ... أنا...

رد عليها وليد بصوت حنون به بعض الحزم

– إنت إيه اعترفي يا طفلتي المدللة ... إنت إيه ؟

ردت عليه مرام بصوت خافت به نبرة خجل

بحبك ... بحبك .

لم يتمالك وليد نفسه من السعادة ، وضم مرام إلى صدره ، والدموع تملأ عينيه

– الحمد لله ... أحمدك يا رب ... أكيد أنا أمي كانت راضية عني عشان كده ربنا رزقني بكل نعيم الدنيا ... الحمد لله ... الحمد لله .

نظرت له مرام بعينين تملؤهما شقاوة الأطفال

– عارف إنت أكتر واحد دلعني ... أنا قلت لك ده قبل كده ، لكن فعلًا دي حقيقة .

أطلقت عينا وليد فيضانًا من الحب أحاط بمرام من كل اتجاه ، وهو يقترب منها هامسًا لها

– ستظلين طفلتي المدللة طول العمر .

اقترب وليد من مرام أكثر ، وأكثر ، وأخذها بين ذراعيه ليضمها إلى صدره ، فيسرع قلبه ليحتمي بحنايا قلبها ، وتعانق شفتاه شفتيها ، ويتقاسمان أنفاسهما لينعما بالدفء ، والأمان .

وتمضي بهما رحلة الزمان ، والشاطئ وعملة الأماني يشهدان على حب وليد ، ومرام الذي لم ولن تغيره الأيام ... فحبهما يزداد في كل يوم تشرق فيه الشمس ، وعندما تغيب عن الأنام ...يقفان معًا على الشاطئ محلقان في سماء الأماني والأحلام ، وبجوارهما طفلتهما الصغيرة تمسك بالعملة المعدنية لتهمس لها بسرها الخاص جدًا ، وتقذف بها بعيدًا في البحر ، ووليد ، ومرام يضحكان ليمتلأ الكون كله بسعادة لا يقوى على قهرها حتى آلام الفراق .

(تمت)